كوابيس نورة

بسم الله الرحمن الرحيم

د.طارق البكري

كوابيس نورة

رواية

دار المكتبي

الطبعة الأولى

2017 - 1438

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار الكتبي.

دار الكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - الشارقة - القاهرة
دمشق هاتف: 00963112248433 فاكس: 00963112248432 ص.ب: 31426
الشارقة هاتف: 0097165512262 فاكس: 0097165512264 ص.ب: 3309
Email:almaktabi@gmail.com
www.almaktabi.com

١

نُورَة تُحِبُّ الحَيَاةَ

نُورَة..

اِسْمٌ جَمِيلٌ، لِفَتاةٍ رَائِعَةِ الجَمَالِ، فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمرِهَا، وَفِي نِهايَةِ الصَّفِّ السَّابِعِ، وَبعْدَ أَسَابِيعَ قَلِيلَةٍ يَنْتَهي الفَصْلُ الثَّانِي وَالأَخِيرُ مِنَ العَامِ الدِّراسِيِّ؛ لِتَبْدَأَ بَعْدَ ذَلِكَ مَرْحَلَةٌ جَدِيدَةٌ مِنَ الدِّراسَةِ.

والصَّفُّ السَّابِعُ مَرْحَلَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ فِي الدِّراسَةِ المَدْرَسِيَّةِ، حَيثُ تَكُونُ الأَعْبَاءُ وَالوَاجِبَاتُ الدِّراسِيَّةُ فِيها كَثِيرةٌ، وَلاسِيَّما مَا تَتَطَلَّبُهُ الامْتِحانَاتُ النِّهائِيَّةُ مِنْ جُهُودٍ كَثِيرَةٍ، وَتَحْضِيراتٍ كَبِيرةٍ، وَتركِيزٍ شَديدٍ فِي مُختَلَفِ المَجالاتِ وَالدُّرُوسِ.

وَرَغْمَ كُلِّ ظُرُوفِ الدِّراسَةِ المُتْعِبَةِ، تَظَلُّ نُوْرَة عَلى

طَبِيعَتِها الجَمِيلَةِ اللَّطِيفَةِ الهَادِئَةِ، فَهِيَ فَتَاةٌ ذَكِيَّةٌ مَرِحَةٌ مَحْبوبَةٌ مِمَّنْ حَولَها، تُحِبُّ الحَيَاةَ وَتوزِيعَ سِلالٍ مِنَ الْفَرَحِ وَالبَهْجَةِ علَى جَمِيعِ النَّاسِ مِنْ حَولِها بِثِقَةٍ، وَتفَاؤلٍ بِغَدٍ أَفْضَلَ.

هِيَ فَتاةٌ تَهْوَى الضَّحِكَ وَالمِزَاحَ.

تَتَمَتَّعُ بِخَيالٍ نَشِطٍ وَخَصْبٍ، تُفَكِّرُ دَائِماً بِأَشْياءَ جَديدَةٍ رُبَّما لَا يُفَكِّرُ بِهَا كَثِيرٌ مِمَّنْ هُمْ فِي مِثْلِ سِنِّها، وَتَرَى المَحَبَّةَ وَالسَّلامَ فِي كُلِّ الأَشْيَاءِ مِنْ حَولِها، فَتَعيشُ الفَرَحَ الدَّائِمَ.

وهِيَ أَيْضاً تُفَكِّرُ دائِماً بِالمُسْتَقْبَلِ، وَتَبْني فِي مُخَيِّلَتِها أَفْكَاراً كَثِيرَةً، أَكْثَرَ مِنْ رِمَالِ شَاطِئٍ مُمْتَدٍّ فَسِيحٍ، وَترْسُمُ أَحْلاماً كَبِيرَةً، أَكْبَرَ وَأَوْسَعَ مِنْ مُحِيطٍ، وأَرْفَعَ مِنْ جَبَلٍ عَالي الجَبِينِ.

لَدَيهَا عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الصَّديقاتِ عَلى مَواقِعِ التَّواصُلِ الاجْتِماعِيِّ، وَخاصَّةً (الفيسبوك)، وَعَادَةً مَا تَجْمَعُ

كَثِيراً مِنَ الأَشْعَارِ وَالحِكَمِ وَالقِصَصِ الجَمِيلَةِ، وَتَبْحَثُ عَمَّنْ يُشَارِكُها هِوايَاتِها المُحَبَّبَةَ، وَخاصَّةً هِوايَتُها الكُبْرَى؛ وَهِيَ جَمْعُ الرِّيْشِ المُلَوَّنِ الجَمِيلِ.

تَمُرُّ أَيَّامُ حَياتِها بِجَمَالٍ وَصَفاءٍ وَأَمَانٍ، لَا يُعكِّرُ صَفْوَ مِزاجِها الهَادِئِ دائِماً شَيءٌ مِنْ مُزعِجَاتِ الزَّمَانِ، أو مِنْ أَعْبَاءِ الدُّنْيا.

وَالدُّنْيا عَادَةً لا تَسْتَقِرُّ عَلى حَالٍ؛ فَهِيَ فِي تَبَدُّلٍ مُسْتَمِرٍّ، وَتَغيُّرٍ لَا يَزُولُ.

وَمُنْذُ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِأَنَّ حَيَاتَها تَتَبَدَّلُ، وأَنَّ هُناكَ أَشياءَ كَثِيرَةً بَدَأَتْ تَتَغَيَّرُ فِي مَلامِحِها، وَهِيَ لا تُحِبُّ التَّغْيِيرَ.

بَدَتْ تَفَاصِيلُ حَيَاتِها الجَديدَةِ مُخْتَلِفَةً جِدّاً عَمَّا مَضَى، فَبَعْدَ أَنْ كَانَ نَوْمُها هَنِيئاً صَارَ هَمّاً، وَأَمْسَى لَيلُها ضَجَراً وَصُبْحُها قَلِقاً. وَبَعْدَ أَنْ كَانَ نَهارُها فَرَحاً، أَصْبَحَتْ مَشْغُولَةَ الذِّهْنِ وَالقَلْبِ بِمَا يُزْعِجُ أَوْقَاتَها.

فِي المَسَاءِ تَدْخُلُ غُرفَتَها مُكْرَهَةً، لَا تُريدُ النَّومَ كَيْلا تَقْتَحِمَها الكَوابِيسُ المُزْعِجَةُ المُؤْلِمَةُ.

تَذْهَبُ إلى مَا تَكْرَهُ غَصْباً عَنْها، كَأَنَ ما تَقْصُدُ الذَّهابَ إِلَيهِ مَكانٌ مَحْظورٌ، مَمْنوعٌ عَلَيها أَنْ تَدْخُلَ إِلِيهِ، أوْ أَنْ تُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ.

تَأْوِي إِلَى فِراشِها مُرْغَمَةً، وَكَأَنَّها تُجُرُّ جِسْمَها جَرّاً إلى حَبْسِها الانْفِراديِّ، بِلا قاضٍ وَلَا سَجَّانٍ، وَلا حَارِسٍ ولا جَلَّادٍ.

وَمنْذُ مَتى يُصْبِحُ الفِرَاشُ مِثلَ الشَّوكِ المُسَنَّنِ الطَّرَفِ، كأَنَّهُ سِلاحٌ فَتَّاكٌ يَدْمي الفُؤادَ قَبْلَ الجَسَدِ؟! والجَسَدُ أَضْعَفُ مِنْ جَنَاحِ فَراشَةٍ، وإِنْ بَدا مِثْلَ صَخْرَةٍ، والصُّخورُ تَتَفَتَّتُ، كَمَا تَتَفَتَّتُ الأَحْلامُ عَلى مَرِّ الأَيَّامِ.

وَأَيْنَ يَجِدُ الطَّائِرُ رَاحَتَهُ إِنْ لَمْ يَجِدِ الأَمَانَ فِي عُشِّهِ! والعُشُّ الَّذِيْ يَبْنِيهِ الطَّائِرُ يَبْنِيهِ بِحُبٍّ وَإِخْلاصٍ،

وَيَقْضِي في بِنائِهِ أَيَّاماً طَوِيلَةً عَدِيدَةً، يَجْمَعُ فِيهِ القَشَّةَ إِثْرَ القَشَّةِ، يُرَتِّبُها بِعِنايَةٍ ودِقَّةٍ بَالِغةٍ، حَتَّى يَبنِيَ بَيتاً قَوِيّاً يَصْمدُ عَلى غُصْنِ الشَّجَرَةِ فِي وَجْهِ الرِّياحِ وَالعَواصِفِ، وَيحْمِي بِهِ بَيضَهُ وَأَبنَاءَهُ مِنَ الأَعْدَاءِ.

وَكانَ يَحْلُو لِنُورَة أَنْ تُنْشِدَ أُغْنِيَةَ العُصْفورِ السَّعيدِ:

فِي الْبُسْتَانِ.. فِي الْبُسْتَانِ
شَقْشَقَ عُصْفُورٌ رَنَّانْ
رَفَّتْ أَوْرَاقُ الأَزْهَارِ
مَاسَتْ أَغْصَانُ الأَشْجَارِ
غَنَّتْ أَوْتَارُ الأَلْحَانِ

* * *

فِي الْبُسْتَانِ.. فِي الْبُسْتَانِ
شَاهَدْتُ أَحْلَى الأَوْطَانِ
عَانَقْتُ أَطْيَافَ النُّوْرِ

رَاقَــصْــتُ أَزْهَــارَ الــجُــوْرِي
سَــافَــرْتُ عَــبْــرَ الــوِجْــدَانِ

❊ ❊ ❊

فِي الْبُسْتَانِ.. فِي الْبُسْتَانِ
أَضْــحَــكُ أَلْــعَــبُ فِي الْبُسْتَانِ
أَرْكُــــــــضُ أَمْــــــــرَحُ
أَزْهُــــــــو أَفْــــــــرَحُ
أَزْرَعُ مَــــــــجْــــــــداً
أَكْــــــتُــــــبُ عَــــهْــــدَاً
وَشِــعَــاراً ضِــدَّ الــطُّــغْــيَــانِ

❊ ❊ ❊

فِي الْبُسْتَانِ.. فِي الْبُسْتَانِ
تَــكْــبُــرُ أَحْــلَامِــي وَتُــصَــانُ
أَحْــــمِــــي أَزْهَــــارِي وَوُرُودِي

أَوْفِـــي أَقْـــوَالِـــي وَعُـــهُـــودِي
وَأَصُـــــدُّ كُـــلَّ الـــعُـــدْوَانِ

* * *

فِي الْبُسْتَانِ.. فِي الْبُسْتَانِ..
أَلْـعَـبُ أَمْـرَحُ فِـي الْـبُـسْـتَـانِ
تَـغْـدُو أَيَّـامِـي أَمْـجَـاداً..
رَايَـاتٍ تَـعْـلُـو وجِـهَـاداً
فِـي طَـاعَـةِ رَبِّـي الـرَّحْـمَـنِ

وَهَلْ هُناكَ أَكْبرُ مِنْ سُوءٍ يُصِيبُ الإِنسَانَ عِندَمَا يَهْجُرهُ الأَمانُ وَيَفْتَقِدُ الأَمْنَ والإِيْمانَ؟!

وَهلْ هُنَاكَ أَخْطَرُ مِنْ أَحْلامٍ بِلا سَقْفٍ وَبِلَا عُنوانٍ؟!

أَحْلامٌ مُزْعِجَةٌ مُقْلِقَةٌ، مَمْزوجَةٌ بِالرُّعْبِ والأَوْهَامِ.

وَكانَتْ نُوْرَة إِذا نَامَتْ؛ رَأَتْ مَا يُخِيفُها وَيرْعِبُها، فَتَهُبُّ مِنْ نَومِهَا مَذْعُورةً.

وَمُخِيِّلَةُ نُوْرَة لَا تَحْتاجُ إِلَى كُلِّ هَذا الخَيَالِ المُرعِبِ، فَهِيَ عَامِرَةٌ بِحِكاياتِها الجَمِيلاتِ بِلا حُدودٍ مُصْطَنَعَةٍ، وَبِلا بِلادٍ مُرَكَّبَةٍ تَرْكِيباً وَهْمِيّاً؛ قَرَأَتْ مِنْهَا الكَثيرَ، وَسَمِعتْ عَنْهُا الجَمَّ.

كَمَا أَنَّها نَسَجَتْ ـ بِعِنايةٍ بَالِغَةٍ ـ فِي خَبَايا رَأْسِها الصَّغِيرِ الكَثيرَ الكَثيرَ مِنْ قِصَصِ الطُّفولَةِ السَّاحِرَةِ.

وَهَلْ هُنالِكَ أَجْمَلُ مِنْ قِصَصِ الطُّفولَةِ السَّاحِرَةِ؟!

تِلْكَ الحِكايَاتُ البَاسِمَةُ الَّتِي تَحْكِيها الجَدَّاتُ لِلأَحْفَادِ.. فَتبقَى فِي القُلوبِ قَبلَ الذَّاكِرَةِ.

أَحْلامُها طَيرٌ بِلا جَناحٍ، لا يَنْتَهي مِنَ التَّحْليقِ خَلفَ النُّجُومِ، وَلا يَتوقَّفُ عَنِ السِّبَاحَةِ فِي أَعْمَاقِ الفَضَاءِ، بَلْ تَنْمُو قُوَّتُهُ وَتَزْدَادُ قُوَّةً كُلَّمَا حَلَّقَ أَكْثَرَ

وَجَذَّفَ أَكْثَرَ، وَتَشْتَدُّ عَزِيْمَتُهُ للتَّحْلِيقِ والارْتِفاعِ مَعَ مُضيِّ الحَيَاةِ قُدُماً نَحْوَ الأمَامِ.

وَالحَيَاةُ أَوْقاتٌ تَمُرُّ مُسْرِعَةً كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ، كُلَّمَا مَرَّ يَومٌ تَبِعَتْهُ أَيَّامٌ بِلا تَمَهُّلٍ وَلا صَبْرٍ أوِ انْتِظارٍ، كَأَنَّها رِيْحٌ خَاطِفَةٌ عاصِفَةٌ، أوْ قَاطِرَةٌ عَابِرَةٌ.

وَالأَرْضُ تَدُورُ وَتدُورُ.. لَا تَتَوَقَّفُ عَنِ الدَّوَرَانِ.

وكَيْفَ لَها أَنْ تَتَوَقَّفَ عَمَّا هِيَ بِهِ مَأْمورَةٌ!

تَقومُ بِعَمَلِها رَاضِيَةً مُطْمَئِنَّةً عَلى أَكْمَلِ وَجْهٍ؛ بِدِقَّةٍ وَإِتْقَانٍ وَتَفَانٍ.

وَبِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الجُهْدِ وَالتَّعَبِ الدَّائِمَينِ المُسْتَمِرَّيْنِ؛ فَهِيَ لا تَكِلُّ وَلا تَمَلُّ، وَلا تُصَابُ بالوَهَنِ وَلا بِالغَثَيَانِ.

وَمَعَ كُلِّ مَا تَحْمِلُهُ نُوْرَة مِنْ مُخيِّلَةِ طَائِرٍ مُحَلِّقٍ فَوقَ سَحابَةٍ مَطِيرَةٍ سَريعَةٍ، في سَمَاءٍ وَسِيعَةٍ، تَرْتَفِعُ صُعُوداً فِي عُلُوِّ شَمسٍ أوْ سُمُوِ قَمَرٍ؛ قَرَّرَتْ قَبْلَ أَنْ تُصيبَها

الكَوابيسُ، أَنْ تُبقِيَ خَيالَها الحُرَّ أَسِيرَ نَفْسِها، تُخْفِي حِكَايَاتِها الأَثِيرَةَ عَنِ النَّاسِ مِنْ حَولِها، وَتَبْدو وَكَأَنَّها أَمِيرَةٌ، لَا تَقَصُّها عَلى أَحَدٍ فِي الكَوْنِ، وَتَخُصُّ أُمَّها بِبَعْضِها فَقَط دُونَ غَيرِهَا مِنَ النَّاسِ.

فَهِيَ وَحْدَها العُلْيا مَقاماً، وَالأَسْمَى مَكاناً عِنْدَها بِلَا مُنازِعٍ.

وَهَلْ هُنالِكَ أَغْلَى وَأَطْيبُ وَأَنْقَى مِنْ أُمٍّ، وهِيَ الَّتِي تُنصِتُ لأَبْنائِها بِفَخْرٍ وَاهْتِمامٍ وَمَوَدَّةٍ واعْتِزازٍ؟!

وَمَنْ فِي الكَونِ مِثْلُها سَمَاحةً وَجَمَالاً ورِقَّةً وَمَوَدَّةً! تُنْصِتُ إلى أَحْلامِ أَبْنائِها وَأَفْكارِهِمْ بِلا مَلَلٍ وَلا كَلَلٍ.

تُنْصِتُ بِاهْتِمامٍ مَهْمَا كانَتْ تِلْكَ الأَحْلامُ والأَفْكارُ بَسيطَةً وَغَريبَةً، وَحَتَّى لوْ كَانَتْ سَخِيفَةً، كَمَا يَظُنُّ بَعضُ الكِبَارِ. فَلِلصِّغارِ أَحْلامٌ بِحَجْمِ جَبَلٍ، وخَيَالٌ أَوسَعُ مِنْ سَماءٍ.

وهِيَ الَّتِي تَطْلبُ مِنْ أَبْنائِها مِراراً وَتكْراراً أَنْ

يَحْكُوا لهَا قِصَصَهُمُ المُمْتِعَةَ باسْتِمرارٍ، وَتُلِحُّ عَلَيهِم لِكَي يَسْرُدوا عَلَيهَا المَزِيدَ مِنَ المَواقِفِ والأَحْداثِ الَّتِي يُصَادِفُونَها بِلا خَجَلٍ أو وَجَلٍ، ثُمَّ تُكافِئُهُم بِهدَايا قَيِّمَةٍ؛ حِكايةٍ مِنْ أَجْملِ حِكايَاتِها الَّتِي لا تَنْتَهي.

وكَمْ جَميلَةٌ هِيَ حِكايَاتُ الطُّفُولَةِ الَّتِي تَنْشُرُها الأُمُّ مِنْ فَمِها الطَّاهِرِ. تَخْرُجُ مِنَ القَلْبِ فَتَقَعُ فِي القَلْبِ، فَلا تُنسَى بِسُهولَةٍ، كَمَا أَنَّها لَا تَتَوقَّفُ أوْ تَتَجَمَّدُ مَعَ مُرورِ الأَيَّامِ وَالأَزْمَانِ.

الأُمُّ عَزْفُ نايٍ مَاهِرٍ، وَقصِيدَةُ شَاعِرٍ مُغامِرٍ، وغَابَةُ مَرَحٍ مُتَشابِكَةِ الأَغْصَانِ، وبَسَاتِينُ زَهْرٍ مُزَرْكَشَةُ الأَلْوانِ، عَامِرةٌ بِالإِيمانِ، مَزْرُوعةٌ بَالفَرَحِ، مَرْوِيَّةٌ بِالأَمَلِ، تُسْعِدُ القَريبَ والبَعيدَ على حدٍّ سَواء، كَمَا تُسْعِدُ العُيَّانَ وَالسُّمَّاعَ، تُفَرِّجُ الهَمَّ وتُزِيْلُ الغَمَّ، تَجْعَلُ النُّجومَ بَهِيَّةً، والزُّهورَ زَكِيَّةً.

تَتَوهَّجُ بِكِبْرياءَ وابْتِهاجٍ، فَتَسْرَحُ الكَواكِبُ فِي

جَنَباتِ الأَكْوانِ، تَزْهو بِانْشِراحٍ، فَتُشْرِقُ السَّماءُ بِنورٍ وَضِيَاءٍ. وَإذا الصُّبحُ لاحَ وَبِالخيرِ فَاحَ؛ لَوَّحَتْ رَاحَتاهُ. وَإِذا الغُروبُ الجَميلُ بِالحُمْرةِ سَاحَ وَبِسِرِّهِ بَاحَ؛ لمَعَتْ مُقلَتاهُ.

قَالوا: «إِنَّ الأُمَّ مَدْرَسَةٌ»، فَمَا كَذَبوا وَمَا ضَلُّوا. فَالأُمُّ فَضَاءٌ رَحْبٌ مِنَ العَطاءِ لَا يَنضُبُ. فِي قَلْبِها الكَبِيرِ بَساتِينُ مِنَ الحُبِّ وَالوُدِّ وَالأَمَلِ، كُلَّمَا قَطَفْنا وَردَةً نَبَتَتْ عَشَراتُ الوُرودِ.

مَدَامِعُ العَينِ تَعرِفُ أَنَّ الأُمَّ أَنْقَى مِنَ المَاءِ العَذْبِ المُصَفَّى، والسَّنَابِلُ الذَّهَبِيَّةُ تُدْرِكُ أَنَّ الأُمَّ أَغْلَى وَأَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ اللامِعِ البَرَّاقِ، وَأَزْكَى مِنَ العِطْرِ الفَوَّاحِ الأَخَّاذِ، بَلْ إِنَّها أَشَدُّ بَهاءً وجَمالاً مِنَ قَوسِ القُزَحِ.

يَقُولُ شِكِسْبيرُ عَنْهُا: «ليسَ فِي العَالَمِ وِسَادَةٌ أَنْعَمُ مِنْ حُضْنِ الأُمِّ».

وَهَلْ هُنالِكَ أَعْذَبُ مِنْ قَلْبِ الأُمِّ الَّتِي أَلْقَتْ

بِوَلَدِهَا الرَّضِيعِ في النَّهرِ وَهِيَ وَاثِقَةٌ بِنَجاتِهِ، خشْيَةً عَلَيْهِ مِنْ ظُلمِ الحَاكِمِ الَّذِيْ كَانَ يَقْتُلُ كُلَّ مُولُودٍ جَديدٍ، كَمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ النَّبِيِّ مُوسَى عليه السلام.

وهَلْ هُنالِكَ تَعْبيرٌ أَجْمَلُ وأَطْيَبُ مِنْ إِحْسَاسِ الشَّاعِرِ المُتَنبِّيِّ، وَحَنينِهِ شَوقاً إلى أُمِّهِ الرَّاحِلَةِ حِينَ يقُولُ:

أَحِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبَتْ بِهَا

وأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمَّا

تَحْلُمُ أَنْ تَطِيرَ

وَفي مَرَّةٍ خَالَفَتْ نُورَة قَواعِدَها، وَقَصَّتْ عَلى بَعْضِ صَدِيقاتِها فِي المَدْرَسَةِ، وَهُنَّ الأَكْثَرُ قُرْباً إلى نَفْسِها، جَانِباً مِنْ حكايَاتِها الجَميلَةِ، لَكِنَّهُنَّ ضَحِكْنَ مِنْهَا عِنْدَما سَمِعْنَها تَتَكَلَّمُ بِحَماسَةٍ بَالِغةٍ مُنقَطِعةِ النَّظِيرِ.

كَمَا أَنَّ بَعْضَهُنَّ اسْتَهْزَأْنَ بِأَحْلامِها وَهِوايَاتِها المُحَبَّبَةِ؛ لِذا قَرَّرَتْ أَنْ تُخْفِيَ كُلَّ حِكايَاتِها وأَسْرَارِها فِي قَلْبِها، وَلا تَبوحَ بِهَا مَرَّةً ثَانِيَةً.

قَالَتْ نَورَة:

«هِيَ أَشْيائِي، مُلْكِي أَنَا وَحْدي، لِي أنَا فَقَط، لِمَ أُشَارِكُهُنَّ بِها؟ لِمَ أَسْمَحُ لَهُنَّ بِأَنْ يَسْخَرْنَ مِنِّي؟

لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ اليَومِ مَهْمَا حَدَثَ».

وَقَالَتْ أَيْضاً:

«مَا هَمِّي بِهنَّ! فأنَا أَحْلُمُ بِأَنْ أُحَلِّقَ فَوقَ النُّجومِ. أُصَادِقُ كُلَّ يَومٍ نَجْمَةً مِنَ النُّجَيماتِ اللامِعاتِ فِي السَّماءِ.

نَعَم، أَطِيرُ.. شَيءٌ جَميلٌ مُمْتِعٌ أَنْ أَطِيرَ، وَلا يَعرِفُ مَعنَى الطَّيَرانِ إِلَّا حَالمٌ مِثْلِي؛ لِذا تَفْهمُنِي الطُّيورُ وأَفْهَمُها.

أَرْكُضُ خَلفَ رِيشَةِ عُصفُورٍ خَفِيفَةٍ، وَكُلُّ رِيشَةِ طائِرٍ تَطِيرُ تَعْني لِيَ الكَثِيرَ. فَأنا عاشِقَةُ الرِّيشِ المُلَوَّنِ البَدِيعِ».

وَتُتَابِعُ نُوْرَة حَديثَها قَائِلَةً:

«عَلَى العُمُومِ؛ فَإِنَّ كُلَّ الرِّيشَاتِ المُلَوَّنَاتِ الَّتِي تَحْمِلُها النُّسَيماتُ النَّاعِساتُ تُلْهِمُني دائِماً الكَثيرَ الكَثيرَ مِنْ أَحْلَامٍ وَخَيالاتٍ جَميلَةٍ لا تَنتَهِي، وَخَاصَّةً عِندَما أَرَاها تَتَراقَصُ أَمَامَ نَاظِريَّ فِي الفَضَاءِ الشَّاسِعِ الرَّحْبِ.

تَرْسُمُ الأَحْلامُ عَلى (وَجْهِ القَمَرِ) ابْتِسَامَاتٍ فَاتِناتٍ.

وتَظَلُّ تَرْسُمُ وَتَرْسُمُ لِيُصْبِحَ (لِلقَمَرِ وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ).

كلُّ وَجهٍ يُحَدِّثُ عَنْ وَجْهٍ آخَرَ.

وتَظَلُّ عَلى هَذِهِ الحَالِ حَتَّى تَقَعَ أَمَامي، فَأَلْتَقِطُها بِيَدَيَّ هَاتَينِ، وَأَضُمُّها إلى صَدْري بِشَوقٍ جَمٍّ وَترحَابٍ شَديدٍ.

لِكُلِّ رِيشَةٍ عِنْدِي حِكَايةٌ، وَلِكُلِّ حِكَايَةٍ رِيشَةٌ».

أَحَبَّتْ نُوْرَة رِيشَ الطُّيُورِ؛ لأَنَّ الطُّيورَ عَلى أَنْواعِها تَقْضِي عُمْرَها وَهِيَ تَطِيرُ مِنْ مَكانٍ إلى مَكَانٍ.

لا تَعْرِفُ الاسْتِقْرارَ مُدَّةً طَويلَةً؛ لأَنَّ مِنْ طَبيعتِهَا حُبُّ السَّفَرِ وَالهِجْرةِ وَالتَّرْحَالِ.

تُحَلِّقُ فَوقَ الأَشْجَارِ وَالبِحَارِ وَالأَنْهَارِ وَالجِبَالِ والوِدْيَانِ وَالصَّحارى.

وكانَتْ نُوْرَة تَحْرِصُ دائِماً عَلَى أَنْ تُخفِيَ بَينَ أَورَاقِ كُتُبِها الكَثيرَةِ بَعْضاً مِنْ رِيشِ الطُّيورِ، وَمِنْ كُلِّ الأَلْوانِ.

هِيَ تَجْهَلُ سَبَبَ تَعَجُّبِ مُدرِّسَتِها مِنْهَا عِنْدمَا طَلَبَتْ مِنْ طالباتِ فَصْلِها أَنْ يَكْتُبْنَ عَنْ هِواياتِهِنَّ. فَكَتبَتْ هِي أَنَّ هِوايتَها المُفَضَّلَةَ جَمْعُ الرِّيشَاتِ المُلَوَّنَاتِ.

سَألَتْهَا نُوْرَة بِغايَةِ الأَدَبِ:

«وَمَا الغَرابَةُ فِي ذَلِكَ يَا أُسْتَاذَتِي؟ أَنَا كَتَبتُ عَنْ هِوايتِي الَّتِي أُحِبُّها.

لَا تُوجَدُ غَرابَةٌ، فَبَعضُ النَّاسِ يَجْمَعونَ الطَّوابِعَ وَالعُملاتِ، وَآخَرونَ يَجْمَعونَ السَّياراتِ القَدِيمَةَ. أَمَّا أَنَا فَهِوايَتي جَمْعُ رِيشِ الطُّيورِ».

وكَلَّفَتْها المُعَلِّمَةُ يوماً بِأَنْ تَجْمَعَ لها بَعضَ الأَمثالِ الجَميلَةِ عَنِ الطُّيورِ. فَوَجَدَتِ الكَثيرَ مِنْهَا، مِثلَ:

ـ البُلْبلُ لا يَبني عُشّاً فِي القَفَصِ حَتَّى لا يُورِثَ العُبودِيَّةَ لفِراخِهِ.

ـ الطُّيورُ عَلى أَشْكالِها تَقَعُ.

ـ عُصفورٌ باليَدِ خَيرٌ مِنْ عَشَرةٍ عَلى الشَّجَرَةِ.

ـ مَا طارَ طائِرٌ وَارتَفعَ إِلا عَلى رأسِهِ وَقَعَ.

وُتحِبُّ نُوْرَة كَثيراً القِصَصَ الَّتِي تَتكَلَّمُ عنِ الطُّيورِ بِأَنواعِها، ومِنها قِصَّةٌ عَنِ الدَّجاجِ تُعجِبُها وَترويها دائِماً، وتَقُولُ:

كَانَ هُنَاكَ مَجْمُوعَةُ دَجاجٍ تَعِيشُ فِي مَزْرَعَةٍ فَسِيحَةٍ، آمِنَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ، وَفِي أَحَدِ الأَصْبَاحِ، اجْتَاحَتِ المَكانَ عَاصِفَةٌ رَمْلِيَّةٌ، ولَمْ تَترُكْ شَجَرَةً صَغِيرةً وَلَا ضَعيفَةً إِلَّا وَقَلَعَتْها مِنْ جُذورِها، وَطَمَرَتِ الرِّمَالُ بُحَيرَةَ المَاءِ العَذْبَةِ الَّتِي كَانَ يَشْرَبُ مِنْهَا الدَّجَاجُ، وَحَوَّلَتْها إلى أَوْحَالٍ.

والدَّجَاجُ الَّذِيْ فُوجِئَ بِالعاصِفَةِ، لَمْ يَألَفْ مِثلَ هَذِهِ الكَارِثَةِ مِنْ قَبلُ، وَلم يَكُنْ مُسْتَعِدّاً لَها بِبِناءِ مَخابِئَ وَبُيوتٍ قَوِيَّةٍ، أَوْ حَتَّى مَخازِنَ لِطعَامِهِ وَحُبُوبِهِ تَحتَ الأَرْضِ، بَلْ كَانَ يَعيشُ فِي بَسَاطَةٍ وَكَأَنَّ سُوءاً لَنْ يَحدُثَ فِي يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ.

لجَأَ مُعظَمُ الدَّجاجِ إلى جُذوعِ الأشْجارِ الضَّخْمَةِ الكَبيرَةِ القَويَّةِ؛ الَّتي صَمَدَتْ لِوحْدِها أَمَامَ العَاصفَةِ، إلى أَنِ انْحَسَرَتِ الرِّمالُ قَليلاً وَبَدَأَتِ الرُّؤيَةُ تَتَّضِحُ، لمْ يكنِ الدَّجاجُ حَتَّى اللَّحْظَة يُدْرِكُ مَا حَدَثَ؟ كَانَ الأمرُ كابُوساً لا يُمكنُ تَصْدِيقُه، فكلُّ مَا بَناهُ فِي سِنينَ طَويلةٍ ضَاعَ فِي لَحظاتٍ. فهبَّ الدَّجَاجُ مُتفقِّداً الوَاقِعَ الجَديدَ.

راحَ الجَميعُ يَعْدو بَحْثاً عَنْ مَفْقودينَ، يَتْبَعُ أَصْواتاً هُنا أَو هُناكَ، مِنْ قَريبٍ أوْ بَعِيدٍ، فَوقَ شَجَرةٍ أوْ تَحتَ الرِّمَالِ، وَيعودُ البَعْضُ حَامِلاً عَلى ظَهْرِهِ دَجاجَةً صَغيرةً مُتْعَبةً، أوْ كَتكوتاً جَريحاً.

ومَضَتْ سَاعاتٌ طَويلَةٌ وَالوَضْعُ على هَذِهِ الحالِ حَتَّى غَربَتْ شمْسُ ذَلِكَ النَّهارِ، واضْطرَّ الدَّجاجُ إلى السُّكونِ وَالرّقادِ، بَعدَ أَنْ أضْناهُ التَّعَبُ وَأَضْعَفَهُ الجُوعُ والعَطَشُ.

وَفي الصَّباحِ اسْتَيقَظَ الدَّجاجُ عَلى مُصيبتِهِ، لكنَّهُ

صَبَرَ عَلى مَا أَصَابَهُ، وَكانَتْ مَعالِمُ المَزرعَةِ قدْ تغيَّرَتْ تَماماً، وَلولا بَعضُ أَشْجَارٍ كَبيرةٍ قَويَّةٍ صَمَدتْ أَمَامَ العَاصِفَةِ لَظَنَّ نَفسَهُ فِي مَكانٍ آخَرَ.

وَراحَ الدَّجاجُ يَبْحَثُ عَنْ وَاحَةِ المَاءِ الَّتِي كانَتْ تَتَوَسَّطُ المَكانَ، لكنَّ الوَاحةَ تَحوَّلتْ إلى أَوحَالٍ.

بَعضُ الدَّجاجِ كَانَ ظامِئاً إلى حدِّ المَوتِ. خَاطَرَ بِنَفْسِهِ، وَرَاحَ يَشرَبُ قُطيراتٍ مِنَ المَاءِ المَمْزوجِ بِالرِّمَالِ عَلى صَفحَةِ الوَاحَةِ المُوحِلَةِ.

كانَ مَشهَداً مُحزِناً، لَكنَّ الدَّجَاجَ لَمْ يَستَسْلِمْ، أَسْرَعَ يَحْفِرُ فِي الأَرْضِ قُرْبَ الوَاحَةِ، بِكلِّ مَا تَبَقَّى لَدَيهِ مِنْ قوَّةٍ، أَمَلاً بِمَاءٍ قَليلٍ يَنْسابُ عَبرَ جِدارِ الوَاحَةِ وَقدْ صَفا مِنَ الرِّمالِ.

وَتَمكَّنَ الدَّجاجُ بعدَ جُهدٍ مِنْ حَفرِ بِئرٍ صَغِيرةٍ، تَجَمَّعَ فِيها مَاءٌ قَليلٌ، لَكِنَّه كَانَ كافِياً لَيروِيَ الظَّمَأَ، رَغمَ تغيُّرِ لَونِ المَاءِ وَطَعمِهِ وامْتِزاجِهِ بِقَليلٍ مِنَ

الرِّمالِ، فِعندَ العَطَشِ وَالجوعِ لَا يُعودُ هُناكَ مَجالٌ للاخْتِيارِ أوْ لِلشَّكوَى.

أَدرَكَ الدَّجاجُ وَاقِعَهُ الجَديدَ. وأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُعيدَ بِناءَ مَزرعَتِه من جَديدٍ، أو الرَّحيلَ. فَاجْتَمَعَ كِبارُ السِّنِّ مِنَ الدَّجاجِ لبِحْثِ الوَضعِ الجَديدِ، وارتَفَعتِ الأَصواتُ مؤَكِّدةً الرَّغبَةَ في البَقاءِ مَهْمَا كانَتِ الظُّروفُ، وإِعَادَةُ المَكانِ إلى سَابِقِ عَهدِهِ.

التَفَتَ الجَميعُ نحوَ كَبيرِ الدَّجاجِ؛ الدِّيكِ المميَّزِ بِلونِهِ الأَحمرِ وُعرفِهِ الضَّخمِ، أَكبَرِ الدَّجاجِ سِنّاً وَمكانَةً، صَاحبِ الكلِمةِ النِّهائيَّةِ.

فَقَالَ بِصَوتٍ هَادِئٍ: «المَوتُ مَعَ العَاصِفَةِ أَهوَنُ عِندي مِنْ مُغادَرةِ المَكانِ الَّذِيْ قَضَيتُ فيهِ حَياتي. وَلْنبدَأِ العَمَلَ فَوراً».

كانَ بَعضُ الدَّجاجِ خَبيراً بِهَندَسَةِ البيوتِ، وَالبَعضُ الآخَرُ بِالزِّراعَةِ، والصِّناعَةِ، والتَّربيَةِ، وإعدادِ الطَّعَامِ.

انْهَمَكَ الدَّجَاجُ بالعَمَلِ، يُريدُ أَنْ يَنتَهيَ بأَسْرَعِ وَقتٍ، وبأَفضَلِ ما يَستَطيعُ إنجازَهُ.

وبَعدَ ساعاتٍ قَليلَةٍ، وفيما كَانَ الدَّجاجُ مَشغولاً بالعَمَلِ صَاحَ دِيكٌ يَافِعٌ بِأَعلَى صَوتِهِ صَيحَةَ تَحذيرٍ مِنْ عَدُوٍّ قَادِمٍ لَمْ يَألَفْهُ الدَّجاجُ مِنْ قَبلُ.

مَجْموعَةُ سِباعٍ تَصعدُ الرَّبوَةَ، وَمِنْ عُيونِها يَتصَاعَدُ الشَّرَرُ.

بَدأَ الدَّجاجُ يَقفِزُ في كلِّ اتِّجاهٍ، سَاعَدتْهُ أَجْنِحَتُهُ بِالقَفزِ وَالطَّيَرانِ قَليلاً مِنْ شدَّةِ الرُّعْبِ لِيَصِلَ إلى أَغْصَانِ الشَّجَرِ الَّتِي تَنتَصبُ بقوَّةٍ في أَرجاءِ البُسْتانِ، فَلَمْ يَكنِ الدَّجاجُ قَدِ انتَهَى مِنْ بِنَاءِ بُيوتِهِ بَعدُ.

وَتمَكَّنَ الدَّجاجُ مِنَ الوُصولِ إلى أَعَالي الشَّجَرِ قَبلَ وُصولِ السِّباعِ، فَحَاوَلتِ السِّباعُ تَسَلُّقَ الأَشْجارِ، لَكنْ هَيهاتَ لِلسِّباعِ أَنْ تَفعلَ ذَلكَ.

السِّباعُ الَّتِي جَاءَتْ إلى المَكانِ أَصَابَها مِنَ

العَاصِفَةِ مثلَ مَا أَصَابَ الدَّجاجَ، فغادَرَتْ مُوطِنَها بَحثاً عَنْ طَعامٍ، وَقضَتْ فَترَةً طَويلَةً دُونَ أَنْ تَأكلَ مَا يَسُدُّ جُوعَها وَتشْرَبَ مَا يَروِي عَطَشَها.

وِعِنْدَما لمْ تَتَمَكَّنْ مِنَ افْتِراسِ الدَّجاجِ قَرَّرَتِ المُغادَرَةَ بَحْثاً عَنْ فَرائِسَ أُخْرَى.

وَقرَّرَ الدَّجاجُ بَعدَما تَأَكَّدَ مِنْ رَحيلِ السِّباعِ النُّزولَ مِنَ الأَشْجارِ، وأَنْ تَكونَ هُناكَ مُراقَبَةٌ دَائمَةٌ بالتَّناوُبِ عَلى زَوايا الرَّبْوَةِ، وَفي جَميعِ اتِّجاهاتِها لِتَرَقُّبِ وُصولِ أَيِّ خَطَرٍ؛ خَوفاً مِنْ تَجْربةٍ مُماثِلَةٍ، وَربَّما لا يَستَطيعُ عِنْدَها أَنْ يَنجُوَ بِنَفْسِه كَمَا حَدَثَ هَذِهِ المرَّة.

وَقَرَّرَ أَنْ يُعِدَّ لِنَفْسِهِ بُيُوتاً أَصْلَبَ وَأَقوَى، كَمَا تَقيْهِ مِنْ خَطَرِ العَواصِفِ فَإنَّها تَقِيهِ مِنْ خَطَرِ الوُحُوشِ.

مَجموعاتٌ مِنَ الرِّيْشِ

تَسَاءَلَتْ نُوْرَة في سِرِّها:

«تُرَى مَا الَّذِيْ كَانَتْ سَتَفْعَلُهُ المُدَرِّسَةُ لَوْ عَلِمَتْ أَنِّي أَمْلِكُ مَجْموعَاتٍ كَثيرةً مُتَنوِّعَةً مِنْ رِيشِ العَصافِيرِ؟ كَمَا أَنَّه لَدَيَّ أَيْضاً رِيشُ بَطٍّ وَدَجاجٍ وَدُيوكٍ وَنَعامٍ.

فِعْلاً إنَّهُ لَشَيءٌ مُضْحِكٌ؛ حَتَّى أَنَا أَضْحَكُ مِنْ نَفْسِي وِمِنْ هِوَايَتي. فَأَنَا بِالفِعْلِ أَعْتَقِدُ أَنَّها هِوايَةٌ غَيرُ عَادِيَّةٍ أَوْ تَقْلِيديَّةٍ، كَمَا أَنَّها لَيسَتْ مَألُوفَةً.

لَكِنْ لا يَهُمُّني مَا يَراهُ الآخَرونَ، بَلْ مَا أَراهُ أَنَا».

وَتَعْتَقِدُ نُوْرَة أَنَّ حُقوقَ الدَّجَاجِ ضَائِعَةٌ، فَالدَّجَاجُ يَنتَسِبُ إلى جَماعَةِ الطُّيورِ، وَهيَ أَيْضاً أَنْواعُها عَديدَةٌ،

وَلا تَطيرُ، وَإِنْ طارَ بَعْضُها لأَمْتَارٍ قَليلَةٍ، فَهِيَ لا تُحَلِّقُ عَالِياً مِثلَ العَصَافِيرِ وَالحَمَامِ والصُّقورِ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّها تُعتَبرُ منْ جَماعَةِ الطُّيورِ، فَكَيفَ تُعتَبرُ طُيوراً وَهيَ لا تَطيرُ، وَمِثلُها أَيْضاً الإوَزُّ والنَّعامُ والطَّاوسُ، وَغيرُها منَ الحَيواناتِ الَّتِي تُصنَّفُ على أَسَاسِ أَنَّها طُيورٌ لَكنَّها لا تَطيرُ.

وَالأَغْرَبُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ـ بِلا شَكٍّ ـ هُوَ البَطريقُ، الَّذِيْ يُعَدُّ أَيْضاً من فَصِيلَةِ الطُّيورِ، لكنْ كَيفَ يَكونُ طَائراً وهوَ بِهَذا الوَزْنِ الثَّقِيلِ وَالشَّكْلِ الغَريبِ؟! فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ حَيوانٌ يَقْضي مُعظَمَ حَياتِهِ بالبَحرِ أَوْ عَلى الشَّاطِئِ، وَيُعتَبرُ ـ رَغمَ ذَلِكَ ـ مِنْ مَعْشَرِ الطُّيُورِ.

وَهِيَ تَعْتَقدُ أَنَّ هَذِهِ الأَنواعَ مِنَ الحَيواناتِ مَظْلومَةٌ، لَكنَّها مُعْجَبةٌ بِكُلِّ حَيوانٍ لَه ريشٌ، حَتَّى لَو كَانَ لا يَطيرُ.

وأَحْيَاناً تَتَناقَشُ مَعَ أَبِيها فِي هَذا المَوْضُوعِ، لاسِيَّما وأَنَّهُ في الأَسَاسِ غَيرُ مُقْتَنِعٍ بِهِوايَتِها، وغالِباً

مَا يُشَجِّعُها لِلقيامِ بِهِوَايَاتٍ أُخْرَى، وَبِالرَّغمِ مِنْ أَنَّهُ لا يَتَّفِقُ مَعَ كَثِيرٍ مِنْ آرائِها وَلا مَعَ تَصَوُّراتِها، فَإِنَّهُ يُحِبُّ دَائماً الاسْتِماعَ إلى أَفْكَارِها وَتبْريراتِها وَاسْتِنْتاجَاتِها وَتَحْليلاتِها.

وَفي بَعْضِ الأَحْيَانِ، تَراهُ يَتَأَمَّلُ خِلْسَةً رِيشَاتِها المُلَوَّنَاتِ، فَتَشْعُرُ أَنَّهُ مُعْجَبٌ بِها هو أَيْضاً، لَكِنَّهُ يَتَرَدَّدُ بِالتَّعْبيرِ عَمَّا يَجُولُ فِي نَفْسِهِ وَخَاطِرِهِ.

فَهُوَ لَا يُريدُ الإِفْصَاحَ عَنْ مَشَاعِرِهِ، وَلَا البَوحَ بِمَكْنونَاتِهِ؛ لِكَي يُشْعِرَها بِأَنَّها تُضيِّعُ وَقْتَها بِهَذِهِ الهِوايَةِ الغَريبَةِ.

وَغالِباً مَا تُرَدِّدُ نُوْرَة فِي حَمَاسَةٍ بَالِغَةٍ:

«لَسْتُ أَدْري مَا الغَريبُ بِهذِهِ الهِوايَةِ؟ فَبَعضُ النَّاسِ هِوايَتُهُمْ جَمْعُ الصَّدَفِ، وَبعْضُهمْ يَهْوَى جَمْعَ العُملاتِ القَدِيمَةِ وَالطَّوابِعِ المُخْتَلِفَةِ.

مَعَ أَنَّ الطَّوابعَ وَخِدْمَةَ البَريدِ العَاديَّةَ تَكادُ تَندَثرُ مَعَ انتشارِ البَريدِ الإلِكْترونيِّ وَوَسَائِطِ التَّواصُلِ الاجْتِماعِيِّ.

وَهُناكَ مَنْ يُرَبِّي الحَيواناتِ المُفْتَرِسَةَ في بيتِهِ، وَقرأْتُ فِي الجَريدَةِ يَوماً قِصَّةَ شَابٍّ يَحتفظُ بِثَعابِينَ سَامَّةٍ فِي حَديقَةِ مَنزِلِهِ الخَلفِيَّةِ، وآخَرَ يَجْمَعُ العَناكِبَ وَالحَشَراتِ، وَهُنَاكَ مَنْ يَهْوَى تَربِيَةَ الأُسُودِ والتَّماسِيحِ.

فَلِمَاذا يَسْتَغرِبُ النَّاسُ هِوايَتي؟»

أَمَّا أُمُّ نُوْرَة فَقَدْ تَآلَفَتْ مَعَ رِيشَاتِ ابنَتِها، وتَعَوَّدتْ عَلى وُجودِهَا فِي غُرفَتِها، وفِي أَمَاكِنَ أُخْرَى فِي المَنْزِلِ.

فِي أَوَّلِ الأَمْرِ حَاوَلَتْ أُمُّها أَنْ تُغيِّرَ هَذِهِ الهِوايَةَ، وتُحبِّبَ إِلَيْهَا هِوايةً أُخْرَى، لَكنَّها فَشِلَتْ. وفي النِّهايَةِ اقتَنَعَتْ بِعِشْقِ ابْنَتِها لِلرِّيشِ وَلِلطُّيورِ، وَصَارتْ مَعَ الوَقْتِ مُعْجَبَةً كَثيراً بِها، بَلْ بَاتَتْ تَقومُ أَحْياناً عَديدَةً بِمُشَارَكَةِ نُوْرَة فِي تَرتِيبِها وَتنظِيفِها وَتزْيينِ أَنْحَاءِ البَيتِ بِهَا.

وَيعْتَقِدُ البَعضُ أَنَّ فِي هَذِهِ الهِوَايَةِ سِرّاً مَا!

لَكِنْ فِي الحَقِيقَةِ؛ لَيسَ هُناكَ سِرٌّ وَلا جَهرٌ، المَسْأَلَةُ فَقَط أَنَّهَا تُحِبُّ الطُّيورَ لأَنَّها تَطيرُ وَتَطيرُ وَتَطيرُ.

أَمَّا الطُّيورُ الَّتِي لَا تَطيرُ، فَحُبُّها لَها جَاءَ بِسَبَبِ رِيشَاتِها الجَميلاتِ المُلَوَّناتِ الَّتِي تُشْبِهُ رِيشاتِ الطُّيُورِ «الطَّائِرَةِ».

فَلِلرِّيشَةِ فِي نَفْسِ نُوْرَة رَمْزِيَّةٌ كُبرَى، إذ طارَتْ مَعَ الطَّيرِ إِلَى بُلْدانٍ عَديدةٍ، وَرَأتِ الدُّنيَا مِنْ فَضَاءاتٍ شَاهِقَةٍ، حَلَّقَتْ فَوْقَ الأَغْصَانِ وَالأَشْجارِ العَالِيَةِ السَّامِقَةِ، وَالأَنْهارِ السَّريعَةِ المُتَلاحِقَةِ، وَالبِحارِ الوَاسِعَةِ العَمِيقَةِ، وَغاصَتْ بالغُيومِ المُتَشَابِكَةِ، وَلامَسَتِ النُّجومَ الحَائِرَةَ.

وَكلُّ ريشَةٍ لها مَعْنى مُمَيَّزٍ عِندَها، وَخاصَّةً عِندَمَا تَراها تَطِيرُ وَحِيدَةً، تَحْمِلُها الرِّيحُ النَّاعِسَةُ، بَعدَ أَنْ تَنْطَلِقَ مِنْ جَسَدِ الطَّائِرِ الَّذِيْ يُبَدِّلُ رِيشَهُ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرَ.

كَمَا أَنَّ تَنوُّعَ الرِّيشاتِ ـ بِأَلوانِها وأَحْجامِها

وأَشْكالِها ـ الَّتِي تَرَاها أَمَامَها كُلَّ يومٍ؛ يَمْنَحُهَا فِكْرَةً عَنِ التَّنوُّعِ الأَكبَرِ في هَذَا الكَونِ المُتَرامِي الأَطْرَافِ.

وَبِما أَنَّها تَحْملُ مُخيِّلَةَ شاعِرٍ مُتَنَوِّعِ الخَيالاتِ مِثلَ تنَوُّعِ تِلْكَ الرِّيشاتِ؛ فَقَدِ ازدَادَتْ مُخَيِّلَتُها تَنَوُّعاً باطِّرادٍ مَعَ ازْدِيادِ عَدَدِ الرِّيشاتِ الَّتِي فِي غُرْفَتِها.

وَكلُّ رِيشَةٍ تَحْكِي لهَا قِصَّةً، فهِيَ تَعْرِفُ أَنَّهُ فِي المَاضِي وَقبْلَ اخْتِراعِ القَلَمِ كَانَ النَّاسُ يَسْتَخْدِمونَ الرِّيشَةَ فِي الكِتَابَةِ وَالتَّأْليفِ، وَفِي تَدْوينِ تَاريخِ الأُمَمِ والشُّعوبِ وَالأَسَاطِيرِ، وَفي الحِسابِ وَالبَيعِ والشِّرَاءِ. كَانَتِ الرِّيشَةُ تَحْكي عَنْ ذاتِها وتَكْتبُ حِكايَاتِها بِحِبرٍ مِنْ أَعْمَاقِ خَيالِها.

وَكانَتْ نُوْرَة دَائِماً مَا تُرَدِّدُ وتُغَنِّي مِنْ خَيالِهَا الواسِعِ:

أَنَـا رِيـشَـهْ.. اسْـمِـي شُـوشَـهْ

أَرْسُـمُ فَـرَحـاً.. أَكْـتُـبُ مَـرَحـاً

أَجْـعَـلُ مِـنْ أَحْـلامِـي كَـنْـزاً

أَرْسُمُ طَيْراً.. أَرْسُمُ عَنْزاً
أَغْصَاناً أَرْسُمُ وعَرِيشَهْ
فِي رَأْسِي شَعَرَاتٌ سُوْدٌ
تَعْشَقُهَا كُلُّ الأَلْوَانِ
أُحَلِّقُ فَوْقَ الْبُسْتَانِ
أَزْهَارٌ فِيْهِ وَوُرُودُ
مَا أَحْلَاهَا مِنْ عِيْشَهْ

وَكانتْ كلُّ رِيشَةٍ مِنْهَا تَحْكي لَهَا قِصَّةَ الطَّائرِ الَّذِيْ كَانَتْ قِطْعَةً مِنْهُ مُعَلَّقَةً فِيه، ثُمَّ انْفَصَلَتْ عَنْهُ بِغَيرِ رَغبةٍ مِنْهَا وَلا طَلَبٍ.

وَقبلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا حَمَلَتْها الرِّيحُ لِتَطيرَ وتَدُورَ وَتُحَلِّقَ بِخُيَلاءَ وَسُمُوٍّ، إلى أَنْ تَقَعَ بَيْنَ يَدَيها،

فَتُصادِقَها، ثُمَّ تَحْكِي الرِّيشةُ لَهَا مَا رَأَتْهُ مِنْ أَشْياءَ وَأَشْياءَ فِي رِحْلَتِها الطَّوِيلَةِ.

تَقُولُ نُورَة:

«تَعَلَّمْتُ مِنْ هَذِهِ الرِّيشاتِ أُموراً كَثيرةً. نَسَجتُ فِي خَيَالاتي قِصَصاً رَشِيقَةً مَعَ كُلِّ رِيشَةٍ. أَوْدَعْتُها فِي غُرْفَتي، ثُمَّ فَاضَتْ حَتَّى بَلَغَتِ الغُرَفَ المُجَاوِرَةَ، فَأَضْحَى البَيتُ مِثلَ مَملَكَةٍ للرِّيشِ.

وَمَعَ الأَيَّامِ تَجاوَزَ عَدَدُها المِئاتِ، وَمِنْ كُلِّ الأَحْجَامِ وَالأَنْواعِ.

كَانَ بِإِمْكانِي أَنْ أَجْمَعَ مِنْهَا أَكْثَرَ بِكَثيرٍ مِمَّا أَمْلِكُ الآنَ، لَكِنِّي أُحِبُّ الاحْتِفاظَ بِالرِّيشاتِ الجَميلاتِ المُلَوَّناتِ المُمَيَّزاتِ الَّتِي لهَا قِيمَةٌ جَمَالِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَليسَ أَيَّ نوعٍ مِنْهَا».

وَتُضِيفُ:

«أَنَا لَا أَنْزِعُ الرِّيشَةَ مِنَ الطَّيرِ الحَيِّ مَهْمَا كَانَ رِيشُهُ

جَمِيلاً. لا أَفْعَلُ ذَلِكَ مُطْلَقاً، لا يُمْكِنُ أَبَداً، لَا أُفَكِّرُ بِذَلِكَ مُجَرَّدَ التَّفْكِيرِ.

حَتَّى وَإِنْ كَانَ بِإِمْكَاني أَنْ أَفْعَلَ فِي بَعضِ الأَحْيَانِ، لِكَيلا أُؤْلِمَ الطَّائِرَ أَوْ أُؤْذِيَهُ؛ فَلا أُسَبِّبُ لَهُ جُروحاً أَوْ نُدُوباً لَا تنْدَمِلُ بِسُهُولَةٍ، وَأُفَضِّلُ أَنْ أَلْتَقِطَ الرِّيشَةَ وَهِيَ تَطِيرُ مِنْ أَنْ أَلْتَقِطَها وَهِيَ ساقِطَةٌ عَلى الأَرْضِ».

وَفي يَومٍ حَصَلَتْ نُوْرَة على رِيشَةِ طَيرٍ بَدِيعٍ أَحْضَرَهُ جَارُها الطَّبِيبُ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ نَاءٍ. وَرِيشَةُ جَارِهَا جَاءَتْ إِلَيْهَا طائِرَةً مَعَ النُّسَيمَاتِ العَليلاتِ، مِثْلَما جَاءَتْ إِلَيْهَا مِنْ قَبلُ ـ طَائِعَةً رَاغِبَةً ـ رِيشَاتٌ كَثيراتٌ حَمَلَتْها النُّسَيمَاتُ النَّاعِمَاتُ المُماثِلاتُ إلى حَديقَةِ بَيتِها حِيناً، أَوِ الْتَقَطَتْها مُحَلِّقَةً خِلالَ زِياراتِها المُتَكرِّرَةِ إلى حَديقَةِ الطُّيورِ القَرِيبَةِ مِنْ مَنزِلِها، حِيناً آخَرَ، أَوْ عَثَرَتْ عَلَيها فِي طَريقِ عَودَتِها مِنَ المَدرسَةِ، أَوْ خِلالِ جَولاتِها الدَّائِمَةِ فِي الحَدائِقِ وَالبَساتِينِ فِي أَحْيَانٍ أُخَرَ.

كَمَا كانَتْ تَصِلُها مِنْ حِينٍ إلى آخَرَ؛ رِيشَةٌ مِنْ هُنا وأُخْرَى مِنْ هُناكَ، يُرسِلُها لَهَا أَصْدِقَاءُ صَفَحَاتِها عَلى مَواقِعِ التَّواصُلِ الاجْتِمَاعِي فِي البَرِيدِ العَادِيِّ أوِ البَرِيدِ السَّرِيعِ.

وَهَذا الطَّائرُ الجَمِيلُ الَّذِيْ أحْضَرَهُ جَارُها الطَّبيبُ لَمْ يَتَحَمَّلْ فِراقَ طَبيعَةِ بِلادِهِ، فَمَاتَ بَعدَ فَترَةٍ وَجِيزَةٍ مِنْ وُصُولِهِ، وكَانَتْ مَوْتَتُهُ مَوتَةَ حَبيبٍ اشْتَاقَ لأَرْضِهِ، رَغمَ كلِّ الرِّعايَةِ وَالعِنايَةِ الَّتِي أَحَاطَها بِهَا الطَّبيبُ.

فَفِي يَومٍ، أَنبَأَهَا الجَارُ الطَّيِّبُ خِلالَ زِيارَةٍ قَامَ بِهَا لِبَيتِها، يَومَ كَانَ وَالِدُها مَرِيضاً؛ بِأَنَّ هَذا الطَّائِرَ الجَميلَ كَانَ يَعِيشُ فِي حَديقةٍ غَنَّاءَ، صَحيحٌ أَنَّها مُسَوَّرَةٌ بِالشِّباكِ، إلا أَنَّها واسِعَةٌ رَائِعَةُ الجَمالِ مَلأَى بِالزُّهُورِ.

اشْتَرَاهُ لِيَسْتَمْتِعَ بِصَوتِهِ العَذْبِ، وَشَكلِهِ المُلَوَّنِ البَدِيعِ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلى فِراشِهِ فِي غُرفَتِهِ، أَوْ جالِسٌ عَلى الأَريكَةِ فِي شُرْفَةِ مَنزِلِهِ القَرِيبِ مِنْ بَيتِنا.

لَكِنْ حَدَثَ مَا لَمْ يَكنْ فِي الحُسْبانِ؛ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ المِسْكِينُ؛ فَقَدَ صَوتَهُ الجَميلَ بَعدَ أَنِ اسْتَقَرَّ فِي بَيتِ جَارِنَا، وَسَكَنَ فِي قَلْبِ القَفَصِ الصَّغيرِ، وَأَصْبَحَ أَسِيرَ السِّجْنِ وَالغُربَةِ، فَلَمْ يُغَنِّ يَوماً بَعْدَ ذَلِكَ، وَلم يُطرِبْ سَاعَةً صَاحِبَ البَيتِ الطَّبيبَ.

أَصَابتْهُ السَّآمَةُ وَالكَآبَةُ والأَسَى، وَلَمْ يَعُدْ يَشْرَبُ وَلا يَأكُلُ إِلّا لِمَاماً، فَشَحُبَ لَونُهُ، وَتغَيَّرَتْ صِفاتُهُ، وَلَمْ يَلبثْ حَتَّى مَاتَ كَمَداً وحُزْناً عَلى فِراقِ حَديقَتِهِ، أَوْ رُبَّما لِفَقْدِ الأَحِبَّةِ وَالأَصْدِقاءِ.

وَهَذِهِ هيَ حَالُ الطَّيِّبينَ الأَوفِياءِ لأَوطانِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَأَصْدِقائِهِمْ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الحَدِيقَةِ لَيسَتْ بَيتَهُ، ولَعلَّهُ أُحْضِرَ إِلَيْهَا مِنْ غَابَةٍ غَنَّاءَ، بَعدَ أَنِ اصْطادَهُ صَيَّادُ عَصافِيرَ بَارِعٌ كَانَ يَتربَّصُ بِه وبِأَمْثالِهِ؛ لِيَأْخُذَهُ أَسِيراً إِلى قَفَصِهِ الوَاسِعِ، لَكِنَّه لم يَتواءَمْ مَعَ مَسْكَنِهِ الجَديدِ، فَظَلَّ يَشْعُرُ بِالغُربَةِ مَعَ أَصْدِقَائِهِ، وَربَّما اشْتَرَاهُ الطَّبِيبُ

بَعدَ سَاعَاتٍ مِنِ اصْطِيادِهِ، فَكَانَتْ غُرْبَتُهُ غُربَتَيْنِ؛ غُرْبَةَ وَطَنٍ أَوَّلاً، ثُمَّ غُرْبَةَ أَصْحَابٍ وَأَصْدقاءَ ثَانِياً. وَهَلْ هُنَالِكَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَاتَينِ الغُرْبَتَينِ!؟

رُبَّما لا تَكونُ الحَياةُ أَقْسَى مِنْهَا عَلَيْهِ فِي غُربَتَيهِ، فَأَتْعبَتْ قَلبَهُ، وَأَفْقَدَتْهُ الحَيلَةَ، وَأَقْعَدَتْهُ عَنِ الأَمَلِ، حَتَّى مَاتَ قَهْراً بِلا صَديقٍ يُؤنِسُهُ، وَلا رَفيقٍ يُداوِي وحشَتَهُ.

وَتَتَذَكَّرُ نُوْرَة قِصَّةَ عُصفورٍ مُلَوَّنٍ جَميلٍ، كُلُّ رِيشَةٍ بِلَونٍ، فَمَا أَجْمَلَهُ مِنْ عُصفورٍ!

كُلُّ طُيورِ الغَابةِ كانوا يَغارُونَ مِنْهُ. وَالغيرَةُ تُعْمِي القَلْبَ قَبلَ البَصَرِ.

والعُصْفورُ كَانَ لَا يَرَى جَمَالَ رِيشِهِ وَيَظنُّهُ عَادِيًّا، أَمَّا الطُّيورُ الأُخْرَى فَهِيَ الَّتِي تَراهُ.

عَلِمَ أَنَّ رِيشَهُ يَجعَلُهُ مَحَطَّ حَسَدٍ لا إعْجابٍ مِنْ إخْوانِهِ الطُّيورِ، فَغَطَسَ فِي التُّرابِ المُوحِلِ لِيُصْبِحَ لَونُهُ بِلَونِ الطِّينِ، لَكِنَّ المُشْكِلَةَ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَستَطيعُ أَنْ يَطيرَ.

فَاغتَسَلَ فِي الجَدْولِ العَذْبِ، ثُمَّ انْتَظَرَ تَحتَ الشَّمسِ أَكثَرَ مِنْ سَاعةٍ يَنفُضُ رِيشَهُ حَتَّى جَفَّ تَماماً وَعَادَ يَطيرُ. وكَانَ جَناحَاهُ يَلْمَعانِ تَحتَ الشَّمسِ وَالعُيونُ تُلاحِقُهُ بِحَسَدٍ.

أَرادَ صَبْغَ رِيشِهِ بِلَونٍ وَاحِدٍ؛ صَبَغَ رِيشَهُ باللَّونِ الأَصْفرِ، فَبَدَا شَكْلُهُ بَاهِتاً مُضْحِكاً. لَكِنَّ الطُّيورَ لَمْ تُحِبَّهُ.

وَبعدَ أَيَّامٍ أَمْطرتِ السَّماءُ، فَغَسَلَ المَطَرُ رِيشَ العُصْفُوْرِ المُلوَّنَ الجَميلَ، وأَزَالَ عَنْهُ لَونَ الصِّباغِ الأَصْفرِ، فَعادَ كَمَا كَانَ عُصْفوراً جَميلاً.

وَكَانَ رِيشُهُ لامِعاً بَرَّاقاً نَظيفاً بَعدَ امْتِزاجِهِ بِالماءِ.

وفي يَومٍ قرَّرَ العُصْفورُ أَمراً خَطيراً، قَرَّرَ أَنْ يَنْتفَ مِنْ جَسدِهِ الطَّريِّ اللَّيِّنِ بَعضَ الرِّيشِ المُلَوَّنِ.

نَتَفَ الأَبْيضَ وَالأَحمَرَ وَالبُرتقاليَّ، وَمَضَى إلى

الأَصْفَرِ اللَّمَّاعِ، والأَحمَرِ الأُرْجوانيِّ، وصَارَ يُلقِي رِيشَهُ فِي الهَواءِ، فَيَحْملُهُ وَيطيرُ به هُنا وَهُنَاكَ.

وَمَضَى وَقْتٌ وَالعُصْفورُ يَنْتِفُ رِيشَهُ. وكُلَّمَا نَزَعَ رِيشَةً جَمِيلَةً وَجَدَ تَحتَها رِيشَةً مُلَوَّنَةً أَجْمَلَ مِنْهَا.

وظَلَّ يَنْتفُ رِيشَهُ رِيشَةً رِيشَةً؛ حَتَّى لم يَتَبَقَّ فِي جِسْمِهِ الغَضِّ الطَّريِّ سِوَى بَعضِ الرِّيشِ الأَسْودِ القاتِمِ. وكانَتْ نُقاطُ الدَّمِ تَسيلُ، فَلَمَعَتْ تَحتَ الشَّمسِ.

وعِنْدَما رَأَتْهُ الطُّيورُ الحاسِدةُ نَفَرَتْ مِنْهُ، ولَمْ تُدرِكْ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ أَجلِ أَنْ يَسْتَرضِيَها.

لَمْ يَعدِ العُصْفورُ قادِراً على التَّحْلِيقِ، ولَمْ يَعُدْ قَادِراً عَلى النَّومِ فِي العُشِّ بِسَبَبِ خُشونَةِ القَشِّ.

وبَعدَ أَيَّامٍ وَجَدوا العُصْفُوْرَ المِسْكِينَ مَيتاً مِنَ البَرْدِ، وَالرِّيشُ الأَسْودُ أَصْبَحَ بِلَوْنِ الوَرْدِ بَعدَ أَنْ تَشَبَّعَ بِقَطراتِ الدَّمِ.

عقدٌ وَسَاعَةٌ مِنَ الرِّيشِ

تَحْزنُ نُوْرَة كُلَّمَا تَذَكَّرَتْ حِكايَةَ طَائرِ جَارِهَا الطَّبيبِ، ثُمَّ تَتَأَمَّلُ رِيشَاتِهِ المُلْصَقَةَ بِعِنَايةٍ وَتَرْتِيبٍ عَلى جُدْرانِ غُرفَتِها وَعَلى أَبْوابِ خِزَانَتِها، ثُمَّ تَقُولُ:

«إِنَّ كُلَّ مَا أَمْلِكُهُ مِنْ رِيشٍ فِي كَفَّةٍ، ومَا أَهْدَاني إِيَّاهُ أَبِي، ومَا أَهْدَتْني إِيَّاهُ أُمِّي في كَفَّةٍ أُخْرَى».

وَبِالفِعْلِ فَإِنَّ أَجْمَلَ مَا لدَى نُوْرَة مِنْ حُلي عِقْدٌ بَديعٌ مِنَ الرِّيشِ، أَحْضَرتْهُ لَها أُمُّها مِنْ بَلَدٍ إِفْريقِيٍّ، وَهُوَ عِبارَةٌ عَنْ عقْدٍ مَصْنوعٍ مِنْ خُيوطٍ مُذَهَّبَةٍ، غُرِسَتْ فيها سِلسِلَةٌ بَديعَةٌ مِنَ الرِّيشِ الطَّبيعيِّ النَّاعمِ بِأَلْوانِهِ الجَميلةِ البَاهرةِ.

وَعِندَمَا تَرتَدي نُوْرَة هَذَا العِقْدَ تَشْعُرُ بِفَرَحٍ غَامِرٍ، وَكَأَنَّها مُتَوحِّدَةٌ فِي عَالمٍ مِنَ الطَّبيعَةِ الأَخَّاذَةِ.

وَعِندَما يَتَوحَّدُ الإِنْسانُ وَيَتَماهَى مَعَ أَشيائِهِ الخَاصَّةِ، تَتَوالَدُ فِي نَفسِهِ أَحَاسيسُ صَادقَةٌ مُعَبِّرةٌ نَحْوَ الأَشياءِ المُمَيَّزةِ الَّتِي يُحِبُّها وَيُتيَّمُ بِها، فَيغْرَقُ فِي جَمَالِها؛ حَتَّى يُصبحَ جَمَالُها جِزءاً مِنْ كَيَانِهِ.

وكُلُّ جُزْءٍ مِنَ العِقْدِ بَدائِعُ طَبِيعيَّةٌ مُتَجَاوِرَةٌ حَتَّى الالْتِحامِ، وخُيوطُهُ المُذَهَّبَةُ مَصْنوعةٌ بِعنايةٍ وَدقَّةٍ مِنْ نَباتٍ طَبيعيٍّ فَريدٍ، يَلتَفُّ يَدَويّاً حَتَّى يُصْبِحَ شَديدَ المَتَانَةِ وَالقوَّةِ فَلا يَنقَطِعُ بِسهولَةٍ.

يَبْدو كَأَنَّهُ أُنْجِزَ خِصِّيصاً لَها، بِأَيدٍ مَاهِرَةٍ مُدَرَّبَةٍ تَعْشَقُ الصِّناعَةَ المُتْقَنَةَ، وبِالدِّقَّةِ العَالِيَةِ وَالاحْتِرافِ البَالِغِ شَكْلاً وَمَضْموناً، وَفي ذَلِكَ فنُّ الإِحْسَاسِ العَالي الَّذِيْ يُدْرِكُهُ الحَالِمونَ.

هِيَ أَيْدٍ تُؤْمِنُ بِجَمَالِ الحَياةِ، فَتَصنَعُ مِنْهُ مَا يُضْفِي

عَلى الجَمَالِ جَمَالاً أَكبرَ، فَهِيَ تُدْرِكُ أَنَّ البَقاءَ لا يَكونُ إلا لِلأفْضَلِ، وَأَنَّ الخَامَاتِ الرائِعَاتِ تَزدَادُ رُوعَةً وبَهاءً وَدَلالاً عَلى يَدِ صَانعٍ مَاهِرٍ فَنَّانٍ.

لِذا فَهِيَ تَسْعَى جَاهِدَةً مِنْ أَجْلِ الكَمَالِ المُتاحِ، وَالإمْتاعِ المُسْتَمِرِّ بِما تُقَدِّمُ، لأَنَّها تَعتَبرُ أَنَّ الإتْقانَ طَريقُ الخُلُودِ المُمْكِنِ، وَالنَّجَاحِ الحَقِيقيِّ الوَاعِدِ.

وَعِندَمَا أَحْضَرَتْهُ لَها أُمُّها، وَوَضَعَتْهُ فِي عُنُقِها؛ كَادَتْ تَطيرُ مِنَ الفَرَحِ، لِجَمَالِ هَذا العِقْدِ وَتَمَيُّزِهِ، وَلاسَيَّما أَنَّه يَحْتَوي عَلى العَديدِ مِنَ الرِّيشاتِ المُلَوَّناتِ المَدْهِشاتِ.

كُلُّ رِيشةٍ بِلَوَنٍ، وَكُلُّ لَونٍ بِشكْلٍ وبِدَرَجَاتٍ مُتَفاوِتَةٍ، ومِنْ طُيورٍ مُخْتَلِفَةٍ.

مَنْظَرُهُ بَهِيٌّ مُحَبَّبٌ لَها؛ مِثْلُ طَائِرٍ مُتَأَلِّقٍ نادِرٍ، مُلَوَّنِ الرِّيشِ يَسْبَحُ بِالفَضَاءِ.

طَائرٌ يُشْبِهُ السِّحْرَ جَمالاً، وَيُضَاهِي الخَيالَ رَوعةً أَكثَرُ ممَّا يُشْبِهُ الواقِعَ، فَفِي الوَاقِعِ تَموتُ الأَحْلامُ

أَحْياناً كَثيرةً، ثُمَّ تُدفَنُ بَعيداً بَعيداً، حَيثُ لَا يَعرفُ طَريقَها النَّاسُ، وَلكَيلا يَمشِي فِي جَنازتِها أَحَدٌ.

وَنورَة تَفتَخرُ دَائماً بِهذِهِ الهَدِيَّةِ القَيِّمَةِ، وَتضَعُ العِقدَ حَولَ عُنُقِها فِي مَناسَبةٍ وفِي غَيرِ مُناسَبةٍ، وَالنَّاسُ مِنْ حَولِهَا عِندَما يَرَونَها يَتَعَجَّبونَ، وَينظرونَ إِلَيْهَا بِاهتمامٍ شَديدٍ، يَمْدَحُ بَعْضُهم عِقدَها الفَريدَ، وَبعضُهمْ يَسْتَنكرونَ.

وَعِندَمَا تَذهبُ مَعَ أُمِّها إِلى السُّوقِ لِشراءِ شَيءٍ ما، أَوْ إِلى البَحرِ لِلتَّنزُّهِ وَالتَّرْويحِ عَنِ النَّفْسِ، فَإِنَّها تُصَادِفُ كَثيراً مِنَ النَّاسِ يَتوقَّفونَ لِيَتأَمَّلوا عِقدَهَا بِفَرَحٍ وَسُكونٍ؛ لأَنَّ الأَشْيَاءَ الفَريدَةَ مِنْ نَوعِها هِيَ الَّتِي غَالباً مَا تَلْفتُ اهْتِمامَ البَشَرِ، أَمَّا الأَشْياءُ العَادِيَّةُ المُتكرِّرَةُ الَّتِي يَرونَها كُلَّ يَومٍ وفِي كُلِّ مَكانٍ؛ فَتَمُرُّ أَمَامَ النَّاظِرينَ مُرورَ الكِرَامِ، فَلا يَكترِثونَ بِها، وَلا يَهْتَمُّونَ؛ لأَنَّ كُلَّ مَا هُو عَاديٌّ وَليسَ بِمُبتَكَرٍ لا يُثيرُ الاهتِمامَ والفُضولَ، وكُلَّمَا

جَاوَزَ الشَّيءُ المَدَى وَالحُدودَ المَعْهودَةَ المَأْلوفَةَ؛ اقْتَرَبَ الإِنْسَانُ إِلَى الابْتِكارِ، وَحَقَّقَ مَا يَتَمنَّى مِنْ تَمَيُّزٍ واخْتِلافٍ لافتٍ لِلنَّظَرِ.

وَلعَلَّ «أَظْرَفَ» الأَشْياءِ فِي غُرْفَةِ نُوْرَة هَدِيَّةٌ «ثَمِينَةٌ جِداً»، لَيسَ فِي قِيمَتِها المَادِّيَّةِ، بلْ في مَعانِيها، فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ سَاعَةِ حَائِطٍ كَبيرةٍ، لمْ تُشَاهِدْ نُوْرَة مَثِيلاً لَهَا فِيمَا مَضَى مِنْ حَيَاتِها. وَلم تحْظَ يَوماً بِهَدِيَّةٍ مُشابِهَةٍ مِنْ قَبلُ ومِنْ بَعدُ.

وَالهَدايَا الجَميلَةُ لا تَأْتي بِبَسَاطَةٍ غَالِباً، فَهِيَ لا تَطيرُ ـ مِثْلَ الرِّيشِ ـ مَعَ الرِّيحِ، وَلا تَسْقُطُ مَعَ المَطَرِ، بِلْ هِي نَادِراً مَا تأْتي، كَمَا أَنَّهُ لا يَقُومُ بِمقامِها أَيُّ هَديَّةٍ أُخْرَى، مَهْمَا غَلا ثَمنُها وارْتَفَعَ مِقدارُها، وَكَانَتْ بَهيَّةَ الشَّكْلِ شَهِيَّةَ المَنْظَرِ، فَأَهَمِّيَّتُها لا تَكْمُنُ بِغَلاءِ ثَمَنِها بَيْعاً أَوْ شِراءً، لكنْ بِرَمْزِيَّتِها، وَبِمَا تَعْنيهِ الهَدِيَّةُ لِصَاحِبِها.

وَكلَّمَا كَانتِ الهَدِيَّةُ إلى النَّفْسِ أَقْرَبَ؛ كَانَتِ الرَّغْبةُ بِهَا أَكثَرَ، وَالتَّعلُّقُ بِهَا أَكبَرُ. فَهِيَ لَيسَتْ سَاعَةً عَادِيَّةً تَقْليديَّةً.

وَبعضُ النَّاسِ ـ رُبَّمَا ـ قَدْ لا يُحِبُّونَها وَلا يَسْتَظْرِفونَها؛ فَعَقارِبُها وَأَرْقامُها مِنْ رِيشِ الطُّيورِ الحَقيقِيِّ.

أَصْدِقاءُ وُنشَطاءُ جَمْعِياتِ الرِّفْقِ بِالحَيَوانِ الَّتِي تُحارِبُ أَيَّ إِسَاءَةٍ لِلمَخْلُوقاتِ الضَّعيفَةِ المِسْكينَةِ؛ رُبَّمَا يَعْتَقِدونَ أَنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ، وَذلِكَ العِقدَ، وَمَا تَجْمَعُهُ نُوْرَة مِنَ الرِّيشِ لَيسَ عَمَلاً إِنْسَانيّاً، وَتقُومُ بِمُحارَبَتِهِ.

لَكنَّهُمْ لا يَعْرِفونَ أَنَّ نُوْرَة لا تَقْطفُ وَرْدَةً عَنْ سَاقِها، فَكَيْفَ بِرِيشَةٍ عَنْ جَناحِهَا؟!

أَمَّا إِطارُ السَّاعَةِ فَمِنْ خَشَبِ الأَشْجَارِ ذِي الرَّائِحَةِ العِطْرِيَّةِ الطَّيِّبَةِ، لا لَونَ يُضَافُ إِلَيهِ وَلا زِينَةً.

فَهُوَ كَمَا خَلقَهُ اللهُ؛ نَقِيٌّ بِلَونِ الغَاباتِ، وَفوَّاحٌ بِرائِحَةِ العُشْبِ، وَهائِمٌ بِسُكونِ الشَّجَرِ، كَأَنَّهُ مَا زَالَ

يَحْيا فِي قَلْبِ الطَّبِيعَةِ، حَيثُ تَعِيشُ العَصافِيرُ نَفْسُها صَاحِبَةَ رِيشاتِ السَّاعَةِ المُلَوَّناتِ وعَقَارِبِها.

السَّاعَةُ أَحْضَرَها لَهَا أَبُوها هَدِيَّةَ نَجاحِها فِي المَرْحَلَةِ الابْتِدَائِيَّةِ وانْتِقالِها إلى المَرْحَلَةِ المُتَوسِّطَةِ.

وَرَغْمَ أَنَّهُ كَانَ وَمَا يَزالُ غَيرَ مُقْتَنِعٍ بِهَذِهِ الهِوايَةِ الغَرِيبَةِ، وَلا يُعْجِبُهُ غَرامُ ابْنَتِه بِرِيشِ الطُّيورِ؛ فَقَدْ بَحَثَ طَويلاً عَبْرَ صَفَحَاتِ الإنترنت عَنْ شَيءٍ فَرِيدٍ يُهديهِ لَهَا، حَتَّى عَثَرَ عَليهَا فِي مَتْجَرٍ للتُّحَفِ الطَّبيعِيَّةِ الغَرِيبةِ فِي إِحْدَى الدُّوَلِ البَعِيدَةِ.

عَلَّقَتْهَا نُوْرَة عَلى حَائِطِ غُرفَتِها، وَكَأَنَّهَا لَوحَةٌ رَسَمَهَا فَنَّانٌ كَبيرٌ.

وَالسَّاعَةُ دَقِيقَةٌ جِدّاً فِي حَركَاتِها وَسَكَناتِها، كَأَنَّها قَلبٌ يَنبِضُ عَلى الجِدارِ بِانتِظامٍ تَامٍّ وَبِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ.

مَرَّتْ شُهُورٌ عَديدَةٌ وَالسَّاعَةُ مُلتَزِمَةٌ بِمَواعِيدِها،

وَنورَة في طَبيعَتِها تُحِبُّ الدِّقَّةَ، وَتعرِفُ أَهَميَّةَ الوَقتِ وَلا تضيعُهُ فيما يُضِرُّ وَلا يَنفَعُ.

وَكانَتْ رِيشَاتُ الثَّانيَةِ وَالدَّقيقَةِ وَالسَّاعَةِ تَتَراقَصُ أَمَامَها كَمَا تَتَراقَصُ الرِّيشَةُ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ.

أَحضَرتْ مَرَّةً هَذِهِ الهَدِيَّةَ مَعَها إلى المَدرَسَةِ لِتُرِيَها لِصَديقاتِها فِي الفَصْلِ.

سَخِرتْ بَعضُ الطَّالباتِ مِنْهَا كَمَا سَخِرْنَ سَابِقاً مِنْ هِوايَتِها بِجَمعِ الرِّيشِ، وَمِنْ قِصَصِها مَعَها، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّها كانَتْ بِنَظَرِها أَجمَلَ هَدِيَّةٍ تَلَقَّتْها في حَياتِها.

أَبْرَمَتْ نُوْرَة مِنْ جَديدٍ مَعَ نَفْسِها عَهْداً بَعدَ ذَلِكَ؛ بِأَنْ تَحتَفِظَ بِأَشيائِها المُحَبَّبَةِ بَعيداً عَن أَنْظارِ المُتَطَفِّلينَ السَّاخِرينَ، وأَلَّا تُذيعَ أَسْرَارَها فيمَا يَأْتي مِنْ قَابِلِ الأَيَّامِ.

وَقرَّرَتْ أَنْ تَعيشَ حِكاياتِها بِصَمْتٍ، وَأَنْ تَضَعَ أَسْرَارَها كُلَّها فِي صُندوقٍ صَغيرٍ مَصنوعٍ هُوَ كَذَلِكَ مِنْ رِيشِ الطُّيُورِ، وتَقفلَهُ بِقِفْلٍ مُزيَّنٍ أَيْضاً بالرِّيشِ.

وَمَنْ يَعرِفُ الرِّيشَ يَفْهَمُ مَعانِيهِ فِي قَلْبِ نُوْرَة الصَّغِيرةِ. .

وَكُلَّمَا كَبرَتْ نُوْرَة كَانَتْ قِصَصُها مَعَ الرِّيشِ تَكبرُ وَتَزدادُ، وَمخيِّلَتُها تَتَّسِعُ وَتنْمُو.

وَكانَتْ سَاعَةُ أَبِيها الغَريبَةُ تُرافِقُها فِي سِرِّها، بِصَمْتٍ لَا تَقْطعُهُ سِوَى حَرَكَةُ عَقرَبِ الثَّواني بِحَرَكاتِه الدَّائبَةِ الَّتِي لا تَهدَأُ وَلا تَتَوقَّفُ، وَلا تَمَلُّ وَلا تَئِنُّ وَلا تَلينُ، وَلا تَشكو وَلا تَتعَبُ.

والسَّاعَةُ ـ بعَقارِبِها ـ تَمْضِي قُدُماً إلى الأَمَامِ بلا هوادَة، تَعمَلُ بِجدٍّ وثَباتٍ لَيلاً نَهاراً، دُونَ أَنْ تَنتَظرَ مِنْ أَحَدٍ جَزاءً ولا شُكوراً.

هِيَ السَّاعَةُ الَّتِي تَمْضي وَنمْضِي مَعَها كلَّ أَوْقاتِنا.

لَكِنَّ السَّاعَةَ فِي عُرْفِ الزَّمَنِ هِيَ السَّاعَةُ، لَمْ تَتغيَّرْ مُنذُ أَنْ خَلَقَ اللهُ البَشَرِيَّةَ، فِيمَا مَضَتْ قَوافِلُ هَذِهِ البَشَرِيَّةِ عَبْرَ العُصورِ، وَعَبَرَتِ الحَياةَ إلى الدَّارِ

الآخِرةِ؛ كُلُّ أُمَّةٍ تَخْلِفُ أُمَّةً، لَكنَّ السَّاعَةَ لمْ يَخلفْها أَحَدٌ.

وَتَعَلَّمَتْ نُوْرَة مِنَ سَاعَةِ الرِّيشِ كَيفَ تَعمَلُ مِثلَها بِجدٍّ وتَفانٍ وإخْلاصٍ، بِلا تَذَمُّرٍ.

صَارَتْ تُحِبُّ الوَقتَ أَكثَرَ، وَتعرِفُ قِيمَةَ الوَقتِ الَّذِيْ تُحاكِيهِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكاتِها أَكثَرَ وَأَكثَرَ.

تَرسُمُ الثَّوانِيَ وَالدَّقائِقَ والسَّاعاتِ في مُخَيِّلَتِها، تُفَكِّرُ بِالمَسَافاتِ الَّتِي قَطَعَتْها هَذِهِ الرِّيشَاتُ الجَميلاتُ المَلَوَّناتُ فِي دَوَرَانِها حَولَ مَركَزِ السَّاعَةِ.

كَمَا فَكَّرَتْ نُوْرَة بِحَرَكَةِ الأَرضِ وَدَوَرانِها حَولَ الشَّمْسِ وَحَولَ نَفْسِها. سَاعاتٌ وَسَاعاتٌ تَمضِي وَراءَ بِعضِها دُونَ تَوقُّفٍ وَلا هَوادَةٍ.

وتَذْكُرُ نُوْرَة قِصَّةً وُلِدَتْ فِي مَصْنعِ سَاعاتٍ مشهورٍ. وَكانَتِ السَّاعَةُ رِيَاضِيَّةً مَصنوعَةً خِصِّيصاً لِلفِتْيانِ الَّذينَ يَلْتَزِمُونَ بِالوَقْتِ بِدقَّةٍ، لَكِنَّها كَانَتْ بِالرَّغمِ مِنْ دِقَّتِها

الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَحرُصُ الصُّناعُ عَلَيها؛ لَا تَعرِفُ قِيمَةَ الوَقتِ.

كَانَتْ تُحِبُّ الرَّكضَ وَاللَّعِبَ وَالتَّنَقُّلَ فِي عَقارِبِها كَيفَ تَشاءُ، تُوقِفُ عَقرَبَ السَّاعاتِ حِيناً، ثُمَّ تَجعَلُ عَقرَبَ الدَّقائِقِ أَسْرَعَ مِنْ عَقرَبِ الثَّوانِي، ثُمَّ تُبطِّئُ عَقرَبَ الثَّواني لِتَجْعَلَهُ يَدورُ كَمَا يَدورُ عَقرَبُ السَّاعاتِ.

السَّاعَةُ هَذِهِ كَانَتْ تَتَسَلَّى بِالوَقتِ فِي عُلبَتِها، وَهِيَ مُتَوارِيَةٌ عَنِ النَّاسِ؛ لأَنَّ أَحَداً لَمْ يَقُمْ بِشِرائِها بَعدُ.

وفي يَومٍ اشْتَرَى فَتَى صَغِيرٌ مُجتَهِدٌ هَذِهِ السَّاعَةَ المَرِحَةَ، وَقامَ البَائِعُ بِضَبطِ عَقارِبِها مِنْ جَديدٍ دُونَ أَنْ يَعلَمَ أَنَّها ساعَةٌ مُشاكِسَةٌ لا تُحِبُّ الانْضِباطَ.

ومَا أَنْ خَرَجتِ السَّاعَةُ مِن بَينِ يَدَيِّ البَائعِ، وَأَصبَحَتْ فِي مِعصَمِ الفَتَى الصَّغيرِ؛ حَتَّى بَدَأَتْ بِمُشَاكَسَاتِها وَلَعِبِها المُعْتادِ.

وفِي اليَومِ التَّالي لم يَستَيقِظِ الفَتى لِلذَّهابِ إلى المَدرَسَةِ؛ لأَنَّ السَّاعَةَ أَخَّرَتْ رَنينَ جَرَسِها سَاعَتَينِ كَامِلَتَينِ، وكانَ الفَتى يَستَيقظُ بِنَفسِهِ فِي وَقتٍ مُبكِّرٍ قَبلَ خُروجِ أَبيهِ إلى العَمَلِ، يَتَناوَلُ فطورَهُ وَيَقصدُ المَدرَسَةَ. وَعندَما استَيقَظَ الأَبُ والأُمُّ لم يَكونا يَعتقِدانِ أَنَّ ابْنَهُما مَا زَالَ نَائِماً فِي فِراشِهِ.

اسْتَيقَظَ الفَتى بَعدَ أَنِ انقَضَتْ سَاعَتانِ عَنِ المَوعِدِ المُحَدَّدِ، فَأَسْرَعَ بِالذَّهَابِ مُعتَذراً عَنِ التَّأخيرِ، وَظَنَّ الوَلَدُ أَنَّه أَخطَأَ فِي ضَبطِ سَاعَتِهِ الجَديدَةِ.

وفِي مَساءِ ذَلِكَ اليَومِ حَرَصَ الفَتى عَلى ضَبطِ السَّاعَةِ، وَتأَكَّدَ مِراراً مِنَ المَوعدِ قَبلَ أَنْ يَنامَ، لَكنَّ السَّاعَةَ لا تَستَطيعُ تَغييرَ عَادَتِها اللَّاهيَةِ، فَحَرَّكَتْ زِرَّ ضَبطِ السَّاعَةِ إلى الوَراءِ سَاعَةً واحِدَةً.

وفي اليَومِ التَّالي اسْتَيقَظَ الفَتى مُبكراً سَاعَةً كامِلَةً.

أَسْرَعَ إلى مَدرَستِهِ، واكتَشَفَ أَنَّها لم تَفتَحْ أَبوابَها بَعدُ، فَجَلَسَ منتَظِراً حَتَّى جَاءَ الحارسُ، وَفَتَحَ له البَابَ.

اغتاظَ الفَتى كَثيراً مِنْ سَاعَتِهِ، وَأَدرَكَ أَنَّ السَّاعَةَ تُحِبُّ اللَّعِبَ، وأَنَّها لا تَعرِفُ قِيمَةَ الوَقتِ، فَطَلَبَ مِنْ أَبيهِ أَنْ يَذهَبَ مَعَه إلى البَائعِ مِنْ جَديدٍ لِتَبديلِ هَذِهِ السَّاعَةِ.

فِي مَتجَرِ السَّاعَاتِ أَخْبَرَ الفَتَى البَائِعَ بِقِصَّتِهِ مَعَ السَّاعَةِ، فَضَحِكَ البائِعُ طَويلاً، وأَعْطاهُ سَاعَةً أَجْمَلَ مِنَ السَّاعَةِ المُشَاكِسَةِ، وَوَعَدَهُ بِأَنْ يُعيدَ السَّاعَةَ إلى المَصْنَعِ لِكَي تَتَأَدَّبَ، وَيُعيدوا ضَبْطَها مِنْ جَديدٍ.

نُورَة تُدْرِكُ مَعْنَى هَذِهِ القِصَّةِ، كَمَا تُدرِكُ أَنَّ الأَيَّامَ وَالسِّنينَ تَمضي مُسرِعَةً. وَكُلُّ يَومٍ لَهُ في جُعبَتِها قِصَّةٌ وَرِوايَةٌ.

وَبِالرَّغمِ مِنْ أَنَّ تِلْكَ القِصَصَ الَّتِي تُحبُّها وَتقرؤها وَترسمُها وَتعيشُها تَحتاجُ إلى وَقتٍ مَديدٍ؛ فَإِنَّ نُوْرَة لا تُحبُّ السَّهَرَ.

وَمِنْ عَادَتِها أَنْ تَدخُلَ غُرفَتَها مُبْكِراً لِتَتَأَمَّلَ السَّاعَةَ، ثُمَّ تَقرَأَ قِصَّةً، ثُمَّ تَتلُوَ بَعضَ آياتٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ، ثُمَّ تَنامَ سَريعاً مَا أَنْ تَضَعَ رَأسَها عَلى وِسَادَةِ الرِّيشِ النَّاعِمَةِ.

وِسَادَةُ رِيشٍ!! يا لَلعَجَبِ! حَتَّى وِسَادَةُ نُوْرَة مِنَ الرِّيشِ.

وَهَذا النَّوعُ مِنَ الوَسَائدِ لَيِّنٌ عَلى الرَّأسِ سَاحِرٌ نَاعِمُ المَلْمَسِ، مُنعِشٌ عِنْدَ النَّومِ وَعِندَ الاسْتيقاظِ، ويُفَضِّلُهُ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ المُنَعَّمينَ بِرَغَدٍ مِنَ العَيشِ وَراحَةٍ في البالِ، وَأُولئِكَ الَّذينَ يَبحَثونَ عَنِ الرَّفاهِيَةِ فِي النَّومِ، وَفِي سَائِرِ لَحَظاتِ الحَياةِ.

وَحَياةُ المُرَفَّهِ المُنَعَّمِ تَحلُو عِندَمَا تَطيبُ النَّفسُ وَيَزكو الفُؤادُ.

لَكنَّ النَّومَ جَافَاها هَذِهِ الأيَّام، فهُوَ لا يَقْتَرِبُ مِنْهَا سِوَى سُوَيعَاتٍ قَليلاتٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ تَسْتَيقِظُ خِلَالها

مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ، بِسَبَبِ شَيءٍ جَديدٍ طَرَأَ عَلى حَياتِها، وَلم يَكنْ يُصيبُها مِنْ قَبلُ.

فَجأَةً وَدونَ مُقدِّمَاتٍ، وَدُونَ سَببٍ مُبرَّرٍ؛ بَدَأتِ الكَوابيسُ تَنتَابُها وتَقُضُّ مَضجَعَها، وَتَجعَلُ مِنْ نَومِها حَدَثاً يَومِيّاً حَزيناً، يُسَبِّبُ لَهَا هَلَعاً وَرُعباً دَائِمَين، وَيجْعَلانِها لا تَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلا قَليلاً.

٥

نُوْرَة لَا تَنَامُ

كانَتْ أُمُّها تُوصِيها دَائماً قَبلَ أَنْ تَسمَعَ بِكوابِيسِها؛ أَنْ تَقرَأَ قَبلَ أَنْ تَأوِيَ إلى فِرَاشِهَا بَعْضَ القِصَصِ القَصِيرَةِ، رَغمَ أَنَّها تَعْلَمُ مَدَى حُبِّها لِلقِصَصِ؛ حَتَّى تَشُدَّ مِنْ عَزيمَتِها فَلا تكسَلُ، وَتطلُبُ مِنْها أَيْضاً أَنْ تَتلوَ مَا تَيَسَّرَ لَهَا مِنَ القُرآنِ الكَريمِ، وَتَختُمَ يَومَها بِقِراءَةِ آيَةِ الكُرسيِّ، دُونَ أَنْ تَنْسَى طَبْعاً قِرَاءَةَ سُورةِ الفَاتِحَةِ وَالمُعَوِّذاتِ، ثُمَّ تَنام في أَمَانٍ.

وَكانَتْ تُوصِيها بِأَلَّا تُشْغِلَ نَفْسَها لَيلاً بِتَأَمُّلِ سَاعةِ الرِّيشِ، أَوْ عقْدِ الرِّيشِ، وَأَلَّا تُمضِي الوَقتَ بِالنَّظَر إلى رِيشَاتِها المُلوَّنَاتِ الجَمِيلاتِ.

أَحْضرَتْ لَهَا أُمُّها الكَثيرَ مِنَ القِصَصِ العَالميَّةِ

وَالعَرَبيَّةِ الجَميلَةِ المُمْتِعَةِ، وَبعضَ رِواياتِ البَناتِ اليافِعاتِ.

اشْتَرَتْ لهَا بَعضَ الكُتُبِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الطُّيُورِ؛ أَنْواعِها وَأَشْكالِها.

وَتَحْرصُ نُوْرَة مِنْ جَانِبِها أَشَدَّ الحِرصِ عَلى تَنفيذِ نَصائحِ أُمِّهَا بِحَذافِيرِها، فَهِيَ تَشرَبُ اللَّبنَ الدَّافئَ مَسَاءً، وَتَبتَعِدُ عَنِ المُنبِّهَاتِ خِلالَ النَّهارِ قَدرَ الإمْكانِ، وَلا تَشرَبُ الشَّايَ وَالقَهوَةَ إلَّا نادِراً، وَحتَّى أَنَّهَا لَا تَشرَبُ المَشْروبَاتِ الغَازِيَّةَ إلَّا بِكَميَّاتٍ بَسيطَةٍ وبِاعتِدَالٍ، وَكَذلِكَ تَتَجَنَّبُ مَشروبَاتِ الطَّاقةِ وبَعضَ المَأكولاتِ الدَّسِمَةِ قَبلَ النَّومِ، وكَذلكَ الشُّوكولاتةَ الشَّهيَّةَ.

غَيرَ أَنَّ الكَوابِيسَ لا تَنفكُّ تُحيطُ بِهَا مِنْ كلِّ جَانِبٍ، وَتَفاصِيلَها المُزعِجَةَ هيَ هيَ؛ لا تُفارِقُها وَلا تُبارِحُ لَيلَهَا.

لَم تكُنِ الكوابيسُ تُصيبُها سَابِقاً، ولم تكُنْ تَعرفُ

الأَرَقَ والسَّهَرَ مِنْ قبلُ، كَانَتْ تَضَعُ رَأسَها على الوِسَادَةِ فَتَنامُ بِسَلامٍ وهَناءٍ واطْمِئْنانٍ طِوالَ اللَّيلِ حَتَّى صَلاةِ الفَجْرِ، فَتَقومُ وتَتَوَضَّأُ، ثُمَّ تُصَلِّي جَماعَةً مَعَ أُمِّها، وتَعودُ لِتَنامَ قَليلاً إلى أَنْ تُوقِظَها أُمُّها مِنْ جَديدٍ عَلى مَوعِدِ المَدرَسَةِ.

سَأَلَتْ نَفسَها عَن سَببِ هَذِهِ الكَوابيسِ، تُكرِّرُ في سِرِّها كُلَّ لَيلَةٍ:

«لا تُوجَدُ أَسْبابٌ، لَمْ يَتَغَيَّرْ شَيءٌ، ولَمْ يَسْتجِدَّ مَا يَستَدعِي ذَلكَ، كُلُّ أَمْرٍ فِي حَياتي يَسيرُ بشَكلٍ طَبيعيٍّ وَمُعْتادٍ.

أَذْهَبُ إلى المَدرَسَةِ، أُشَارِكُ صَديقاتِي الدَّرسَ وَاللَّعِبَ، أَقرَأُ، أَمْرَحُ، كُلُّ أَمْرٍ عَلى مَا هُوَ عَلَيْهِ إلَّا النَّوم».

لَمْ تَكنْ أُمُّ نُوْرَة بَعِيدَةً عَنْ إحسَاسِ ابنَتِها، فَهِيَ تَعرفُ هَذَا الإحْسَاسَ وَتفْهَمُهُ، لَكنَّها لَمْ تَشَأْ أَنْ تَتَدَخَّلَ

في الأَمرِ قَبلَ أَنْ تُبادِرَ نُوْرَة إلى الحَديثِ مَعَها حَولَ مَا يُصيبُها مِنْ أَرَقٍ وَرُعبٍ بِسَبَبِ الكَوابِيسِ.

لَاحَظَتْ أَنَّ ابنَتَها تَقومُ منْ سَريرِها فِي أَوقاتٍ مُتَفاوِتةٍ مِنَ اللَّيلِ، وَمنذُ أَيَّامٍ. وَلأَكثرَ مِنْ مَرَّةٍ، تَذهبُ إمَّا إلى الحَمَّامِ، أَوْ إلى غُرفَةِ الجُلوسِ، كَمَا أَنَّها تَتركُ أَحْياناً غرفَةَ نَومِها مُضَاءَةً.

وَفِي الصَّبَاحِ يَنعَكِسُ النَّومُ القَليلُ المُتَقَطِّعُ إِرْهاقاً وَشُحُوباً عَلى وَجهِ نُوْرَة وَعَينَيها.

أَيَّامٌ كَثيرةٌ مَرَّتْ، وَنورة لا تتَكلَّمُ. وَفِي النِّهايةِ بَدَأَتْ قِلَّةُ النَّومِ تُشَكِّلُ عَلَيها خَطَراً يُضِرُّ بِدِراسَتِها وَمُستَقبَلِها؛ فَقَد أَصْبَحَتْ تَجلسُ مُعظَمَ الوَقتِ شَاردَةً سَارِحَةً أَثناءَ شَرحِ المُعلِّمَةِ لِلدَّرسِ، فَيَفوتُها بَعضُ التَّفاصيلِ، فلا تَفهمُ المَوضوعاتِ المَشروحَةَ جيِّداً.

تَردَّدَتْ نُوْرَة فِي الحَديث مَعَ أُمِّها حَولَ مُشكلَتِها، فَهِيَ لا تُريدُ أَنْ يَعتَقِدَ أَحَدٌ أَنَّها تَخافُ خِلالَ اللَّيلِ،

وهِيَ البِنتُ القَويَّةُ المَشهورَةُ بِشَجَاعَتِها وَجُرأَتِها وَقُوَّتِها.

كَمَا أَنَّها لَا تُريدُ أَنْ تَتَخَلَّى عَنِ الأَشْيَاءِ الَّتِي تُحِبُّها، لا تُريدُ أَنْ تُفرِغَ غُرفَتَها مِنَ الرِّيشَاتِ المُلَوَّنَاتِ الَّتِي تُزيِّنُ كُلَّ رُكنٍ منْ زَوايا الغُرفَةِ وَجُدْرَانِها.

هِيَ تَخْشَى إِنْ سَمِعتِ الأُمُّ مَا تَراهُ فِي كَوابيسِها أَنْ تُقَرِّرَ إِخْلاءَ غُرفَتِها مِنْ كُلِّ شِيءٍ لَهُ علاقَةٌ بِالرِّيشِ.

رِيشٌ يَتَحَرَّكُ وَيَتَكَلَّمُ

نُورَة تَرَى في مَنامِها الرِّيشَ يَتَحَرَّكُ، يَتَكَلَّمُ، يَتَحَوَّلُ إلى وُحوشٍ بأَشْكالٍ وَأَلوانٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

تَظنُّ نُوْرَة أَحْياناً أَنَّ الرِّيشَ صَارَ حَيّاً، ويَتَحَرَّكُ في الواقِعِ، وَلَيسَ في المَنامِ أَوْ في الخَيالِ.

بَدَأَتْ تَعتَقِدُ ـ جَازِمَةً ـ أَنَّ الرِّيشَ الَّذِيْ تُحِبُّهُ وَتَحتَفِظُ بِهِ يَكادُ يَتَحَوَّلُ إلى كَابوسٍ يُقلِقُ حَياتَها، وَأَنَّه السَّبَبُ الرَّئيسيُّ لِكُلِّ الكَوابيسِ الَّتِي تَراها، أَو ـ رُبَّما ـ هوَ الكَوابيسُ نَفسُها.

لَكنَّها ـ بالرَّغمِ منْ كلِّ ذَلِكَ ـ لا تريدُ التَّفريطَ بِكلِّ هَذِهِ الأَشياءِ الجَميلَةِ الَّتِي تَحتَفظُ بِهَا.

قَرَّرَتْ نُوْرَة أَنْ تُخبِرَ مُعَلِّمَةَ العلومِ الَّتِي تُحبُّها

كَثيراً، وَتشعرُ أَنَّها الأَكثَرُ قُرباً إلى نَفسِها مِنْ بَينِ جَميعِ مُعلِّمَاتِها. قرَّرَتْ أَنْ تُحَدِّثَها عَمَّا يُصِيبُها هَذِهِ الأَيَّامُ مِن أَرَقٍ مُزعجٍ؛ فَلا تَنَامُ، وَإذا نامَتْ تُصِيبُها الكَوابيسُ الغريبَةُ فَتَقفزُ مِنْ نومِها مُذعُورَةً.

وفِي نِهايَةِ الحِصَّةِ الدِّراسِيَّةِ، وقَبلَ أَنْ تَخرُجَ المُعَلِّمَةُ مِنَ الفَصْلِ، تَوَجَّهَتْ نُوْرَة نَحوَها وَهِيَ تَقومُ بتَرْتِيْبِ أَغْرَاضِها فِي حَقيبَتِها اسْتعدَاداً لِلانتقالِ إلى فَصْلٍ آخَرَ، وَقالَتْ لَهَا أَنَّها تُريدُ أَنْ تُخبِرَها بأَمرٍ مُهِمٍّ.

تَرَدَّدَتِ المعَلِّمَةُ في البِدَايَةِ؛ لأَنَّهُ لا وَقْتَ لدَيها، فَطَلَبتْ مِنْ نُوْرَة أَنْ تُؤَجِّلَ كَلامَها، وَتَتَحَدَّثَ مَعَها فيمَا بَعدُ، لَكنَّ نُوْرَة أَصَرَّتْ، فَشَعَرتِ المعَلِّمَةُ أَنَّ أَمْراً مُهِمّاً بِالفِعْلِ قَدْ حَدَثَ، فَالتَفَتَتْ إِلَيْهَا بِكلِّ اهتِمامٍ وَجدِّيَّةٍ.

أَخبَرَتْها نُوْرَة عَنْ أَرَقٍ يُصيبُها بسَبَبِ كَوابيسَ لا تَنتَهِي، وَعَنْ حَالَةِ هَلَعٍ دَائِمَةٍ وَخَوفٍ مُزْعِجٍ.

أَجَابتْها المُعَلِّمَةُ بِابْتِسَامَةٍ عَريضَةٍ دونَ أَنْ تَسمَعَ التَّفاصيلَ:

«اللهَ.. اللهَ.. يَا نُورة! أَنتِ كَبرتِ وأَصبَحتِ صَبيَّةً. لا تَخافِي. كَثيرٌ مِنَ الفَتَياتِ فِي مثلِ سِنِّكِ يُصيبُ كَثيراً مِنْهُنَّ أَرَقٌ مُماثلٌ وَخَوفٌ مُشَابِهٌ، وهَذِهِ حَالَةٌ مُؤَقَّتَةٌ سَرعانَ مَا تَزولُ. فَلا تَقلَقي يَا حَبيبَتي».

حَاولَتْ نُوْرَة أَنْ تَستفسرَ عَنِ السَّبَبِ؛ لكِنَّ المَعلِّمَةَ مَشغولَةٌ، وَلا يُمكِنُها التَّأَخُّرُ أَكثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَالاسْتِمْرارُ بِحَديثٍ مُفَصَّلٍ لِمُدَّةٍ أَطْوَلَ، وَالحِصَّةُ انتَهَتْ، وعَلَيها الذَّهابُ على الفَورِ إلى فَصلِها الآخَرِ.

قَالَتْ لَها مُدَرِّسَةُ العلومِ وَهِيَ تُهَروِلُ بَعيداً، بَعدَ أَنْ حَمَلَتْ حَقيبتَها وكُتبَها وأَقلامَها:

«فيمَا بَعدُ يَا نورة.. فيمَا بَعدُ».

وَانطَلَقَتْ في طريقِها مُسْرِعةً تَارِكَةً نُوْرَة فِي حِيرتِها. فَكَّرَتْ نُوْرَة بِمَا قَالَتْهُ مُدرِّسَةُ العُلومِ عَن أَنَّ أَرَقَهَا

وَكَوابِيسَها حَالةٌ عامَّةٌ تَمُرُّ بِهَا كَثيرٌ منَ الفَتَياتِ فِي مِثلِ سِنِّها، فَراحَتْ تَتَلَفَّتُ مُتَأَمِّلَةً زَميلاتِ صَفِّها مِنْ حَولِها.

هُنَّ جَميعاً صَديقاتٌ عَزيزاتٌ. لَكنَّ واحِدَةً مِنْهُنَّ لم تَتَكَلَّمْ يَوماً عَنْ مِثلِ هَذِهِ المُشْكِلَةِ.

رُبَّما لَا يَرغَبنَ بِفَتحِ بَابِ الحَديثِ عَنْ هَذا المَوضوعِ، وَلا البَوحَ بِأَسْرَارِهِنَّ لأَحَدٍ، وَلا تريدُ الواحدَةُ مِنْهُنَّ أَنْ يَعرِفَ أَحَدٌ أَنَّها تَخافُ اللَّيلَ، أَوْ أَنَّهَا تَرَى فِي مَنامِها كَوابيسَ مُرعبَةً.

فَكَّرَتْ نُوْرَة فِي سُؤالِ مَريمَ، صَديقَتِها الَّتِي تَجلسُ مَعَها عَلى الطَّاولةِ نَفسِها، وَهُمَا غَالِباً مَعاً، مِنْ مَرحَلَةِ الرَّوضَةِ وَحتَّى اليَومِ، لَكنَّها لَمْ تَملكِ الشَّجَاعَةَ الكَافيَةَ رَغمَ أَنَّها مَشهورَةٌ بِشَجَاعَتِهَا.

لَكنَّ الشَّجَاعَةَ ـ كَمَا يَبدو ـ تَنتَهي عِنْدَما يَتَعلَّقُ الأَمْرَ بِميزَةٍ شَخصيَّةٍ. كَمَا أَنَّها عَاهَدَتْ نَفسَها سَابقاً أَلَّا تُخبِرَ أَحَداً عنْ خُصوصِيَّاتِها، بَعدَمَا اسْتَهزَأَتْ

بَعضُ الطَّالباتِ بها وبهِوايَتِها، وَبِسَاعَتِها فِي مَرَّاتٍ سَابِقَةٍ.

«مَاذا سَتَقولُ عَنِّي مَريمُ لَو أَخْبَرتُها عنْ كَوابِيسي؟ سَوفَ تَهزَأُ مِنِّي وَمنْ كَوابِيسِي هِيَ أيْضاً.

وَقدْ يَنتَشرُ الخَبرُ بينَ بَناتِ فَصْلِنا، ثُمَّ يَنتَشرُ فِي أَنْحَاءِ المَدْرَسَةِ.

عِندَهَا سَأُصبحُ أَضْحَوكَةً لِلجَميعِ».

فَكَّرتْ بِصَمْتٍ، فَالأَفكارُ تَدورُ بِرَأسِها بِلا انْقطاعٍ. زَادَتْها تِلْكَ الأَفْكَارُ رَهَقاً وَضيقاً وَحزناً.

لَمْ تَستَطعِ التَّركِيزَ تمَاماً عَلى شَرحِ المُعلِّمةِ، وَاستَمرَّتْ عَلى هَذِهِ الحَالِ حَتَّى رَنَّ جَرَسُ الفُرصَةِ الأُولى، وخَرَجَتِ الفَتَياتُ الأَقَلُّ سِنّاً مِنْ فُصولِهِنَّ إلى السَّاحَةِ يَلْعَبْنَ وَيمرَحْنَ.

أَمَّا زَمِيلاتُ نُوْرَة فِي الفَصْلِ فَخَرَجَتْ كلُّ وَاحِدةٍ مِنْهُنَّ بهدوءٍ، وجَلسْنَ مُنفَرِداتٍ مُتَفَرِّقاتٍ؛ يَتَنَاوَلْنَ

الشَّطائِرَ، وَيَشرَبْنَ العَصَائِرَ، وَعلى وُجوهِ بَعضِهِنَّ عَلامَاتُ السَّهَرِ وَالتَّعَبِ.

وَقَفَتْ نُوْرَة قُربَ مَقصَفِ المَدرَسَةِ. بَعضُ الفَتَياتِ الأَصْغَر مِنْهَا سِنّاً كُنَّ يَقِفْنَ بِطابورٍ عَلى شُبَّاكِ المَقصَفِ، وَالبَائِعَةُ تُحَاوِلُ تَلبيَةَ جَميعِ الطَّلَبَاتِ.

تَزَاحَمَتِ الطَّالباتُ فِي الطَّابورِ، فَحَدَثَتْ بَعضُ الفَوضَى، فَاقتَرَبَتْ مُعلِّمَةُ العُلومِ لتَنظِّمَ وُقوفَ الفَتَياتِ، وَتمنَعَهُنَّ مِنَ التَّدَافُعِ.

رَأَتِ المُعلِّمَةُ نُورَة، فَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تُسَاعِدَها بِالوقوفِ فِي الجَانِبِ الآخَرِ مِنَ الطَّابورِ؛ لِكَي تَمنَعَ الفَتَياتِ الصَّغيراتِ مِنَ التَّدَافُعِ.

فَرِحَتْ نُوْرَة بِهَذِهِ المَهَمَّةِ. كَانَتْ تُريدُ أَنْ تَشتَريَ زُجَاجَةَ مَاءٍ، لَكِنَّ مَهَمَّتَها أَنْسَتْها عَطَشَهَا.

شَاهَدَتْ مَريمُ صَديقتَها نُوْرَة تَعمَلُ عَلى تَنظيمِ وقوفِ الفَتَياتِ فِي الطَّابورِ، فَأَسْرعَتْ لمُساعَدتِها، ثُمَّ

قَامَتْ مُعَلِّمَةُ العلومِ بِمُساعَدَةِ عَامِلةِ المَقصَفِ حَتَّى حَصَلَتْ كلُّ الطَّالباتِ عَلى طَلَباتِهِنَّ بِسُرعَةٍ وَسُهولَةٍ.

ضَرَبتْ مَريمُ كَفَّ نُوْرَة كَفّاً بِكَفٍّ، كانَتا تَشعرانِ بالسَّعادَةِ وَالفَخرِ وَالمَرَحِ، ثمَّ تَوَجَّهَتا إلى الفَصْلِ بَعدَمَا قُرِعَ جَرَسُ المَدرسَةِ إيذاناً بِبَدءِ الحِصَّةِ الجَديدَةِ، تَشبكانِ يَديَهِما بَعضِهما بِبَعضٍ، وَراحَتا تَصعَدانِ دَرَجاتِ السُّلَّمِ إلى الدَّورِ الثَّاني، تَقفزانِ دَرَجَةً دَرَجَةً، وَأَحْياناً دَرَجَتَينِ دَرَجَتَينِ.

وَفيما هُما تَقفزانِ وَتَمرحانِ؛ زَلَّتْ قَدَمُ نُوْرَة مِنْ أَعْلَى الدَّرَجِ، فَتَزَحلَقَتْ، وَحَاوَلتْ مَريمُ أَنْ تُمسِكَ بِيَدِها فَوَقَعَتْ مَعَها.

وَارتَجَّ المَكَانُ ضَجيجاً، وارتَفَعَتْ صَيحاتُ الطَّالِباتِ، ومِنْ حُسْنِ حَظِّهِما كانَتْ بَعضُ الفَتَياتِ خَلفَهُما على الدَّرَجِ، وَعَلى بُعدِ بِضعِ دَرَجاتٍ مِنْهُما، فَشَكَّلْنَ مَعاً سَدّاً مَنيعاً أَوقَفَ تَدَحرُجَهما العَنيفَ،

وَلولا لُطْفُ اللهِ لَسَقَطَتَا إلى آخِرِ دَرَجَةٍ، وَتَكَسَّرَتْ عِظامُهُما. واللهُ وحدَهُ يَعلَمُ كَيفَ تكونُ النِّهايةُ.

كَانَتْ سَعادَةُ نُوْرَة وَمَريمَ بِنَجاتِهما مِنْ وَقْعةِ الدَّرَجِ كَبيرةً، وَعَمَّتِ الفَرحَةُ أَرجاءَ المَدرَسَةِ، وَانقَلَبَتِ الحِصَّةُ التَّاليَةُ مِنْ سَاعَةٍ لِلتَّدْريسِ إلى سَاعَةِ فَرَحٍ وَتَهنئَةٍ بِنَجاتِهما.

وَمَضَى الوقْتُ المتَبَقِّي مِنَ الدِّراسَةِ سَريعاً، وَلَمْ تَتَمَكَّنْ نُوْرَة مِنَ التَّحَدُّثِ عنْ كَوابِيسِها لِمُعَلِّمَةِ العُلومِ، وَلا لِصَديقَتِها مَريمَ.

ثمَّ عَادَتْ كلُّ طَالبةٍ إلى بَيتِها، وَعادَتْ نُوْرَة تُفَكِّرُ بمشْكِلَتِها المُستَجِدَّةِ مَرَّةً أُخْرَى.

كَوَابِيْسُ.. كَوَابِيْسُ

فِي البَيتِ جَلسَتْ نُوْرَة تَتَنَاوَلُ طَعامَ الغَدَاءِ بِرفقَةِ أُمِّها وَأُختِها الصَّغيرةِ نور؛ لأَنَّ أَباهَا يَتَأَخَّرُ قَليلاً فِي عَمَلِهِ، كَمَا أَنَّ أَخَاها سَعداً يَتَأَخَّرُ هُوَ أَيْضاً في مَدرَسَتِه؛ لأَنَّهُ فِي مَرحَلَةِ الشَّهادَةِ الثَّانَويَّةِ؛ الَّتِي تَحتاجُ مِنْهُ إلى جُهْدٍ أَكْبَرَ، وَحُضُورِ بَعضِ السَّاعَاتِ الإِضافيَّةِ للتَّقويَةِ، وَالاسْتِعدَادِ مَعَ اقتِرابِ نِهَايَةِ العَامِ الدِّراسِيِّ.

لَمْ يَكنْ سَعدٌ فِي يَومٍ مِنْ أَيَّامِ الأَعْوَامِ المَاضِيَةِ أَكثَرَ انْشِغَالاً مِمَّا هُوَ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ، فَسَعْيُهُ الدَّائِبُ للحُصولِ عَلى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ لَا يَتَوَقَّفُ لَحْظَةً، فَهُوَ يُريدُ أَنْ يَتَقَدَّمَ إلى جَامِعَةٍ عالَميَّةٍ مُهِمَّةٍ؛ لِيَدرُسَ عُلومَ الفَلَكِ.

وَكَانتْ نُوْرَة تَسْتَغْرِبُ مِنْهُ كَيفَ يُريدُ دِرَاسَةَ عُلومِ

الفَلَكِ وَهُوَ مُجتَهِدٌ جِداً بِسَائِرِ العُلومِ، وَخاصَّةً بِالفِيزيَاءِ وَالكِيمياءِ، وَكانَتْ تتوقَّعُ مِنْهُ أَنْ يَدخُلَ كليَّةَ الطِّبِّ.

سَعْدٌ لا يَعبَأُ بِدِراسَةِ الطِّبِّ أَوِ العُلومِ الطِّبيَّةِ، وَيَقُولُ: «إِنَّ عُلومَ الفَلَكِ أَكثَرُ اتِّساعاً وُعمْقاً مِنْ أَيِّ عِلمٍ آخَرَ»، وَيَرَى أَنَّ دِراسَاتِ الفَلَكِ واسِعَةٌ بِحَجْمِ الفَلَكِ نَفسِهِ، فِي هَذا الكَونِ الَّذِيْ لَا يَتَوَقَّفُ عَنِ الاتِّسَاعِ كلَّ يَومٍ.

أَمَّا نُوْرَة فَتَعتَقِدُ أَنَّ الطِّبَّ مُفيدٌ للنَّاسِ أَكثرَ مِنْ أَيِّ مِهنَةٍ أُخْرَى، بلْ تَعتَبرُه أَقربَ مِنْهُ ليَكونَ رِسَالَةً مِنْ أَنْ يَكونَ مِهنَةً، كَمَا أَنَّ فُرَصَ العَمَلِ فِيه لِخدْمَةِ النَّاسِ أَكبرُ منْ أَيِّ عَمَلٍ آخَرَ.

لَكنَّ سَعداً يَرَى الأُمورَ بِشَكلٍ مُخْتَلِفٍ؛ الفَضاءُ يَشغَلُ تَفكيرَهُ دَائِماً، منذُ كَانَ طِفْلاً، بَينَما نُوْرَة تَهتَمُّ بِالقِراءاتِ الَّتِي لَها علاقةٌ بِصِحَّةِ الإِنسانِ بَدَنِيّاً ونَفسِيّاً.

وَبِمَا أَنَّها مُهْتَمَّةٌ بِالطِّبِّ وَالصِّحَّةِ وَعِلمِ النَّفسِ؛

بَدَأَتْ نُوْرَة تَبحَثُ عَنْ أَسْبَابِ الكَوابيسِ في الإنترنت، لَكنَّها لم تُخْبرْ أَحَداً عَمَّا تَراهُ في منامِها. وَلَمْ تَجِدْ في الإنترنت تَفسيراً، فَكلُّ كابوسٍ كَانَ مُختَلِفاً عَنْ سَابِقِهِ.

مَرَّةً تَرَى فِيلاً يَقَعُ عَلَيها، ومَرَّةً تُشاهِدُ نَفسَها فِي البَحرِ وَالأَفاعِي تَسبَحُ من حَوالَيها، وَمَرَّةً تُشاهِدُ ضِفدَعاً بِحَجمِ جَمَلٍ، أَوْ تَرَى تِمسَاحاً يُحَلِّقُ فَوقَ رَأسِها.

كَوابِيسُ، كَوابيسُ لَا تَنقَطعُ، ولا تَتَوَقَّفُ، مِثلَ الشَّلالِ المُتَدَفِّقِ المُندَفِعِ مِنْ أَعْلَى الجَبَلِ.

حتَّى شَلَّالِ المَاءِ تَحَوَّلَ فِي مَنامِها إلى شَلَّالٍ مِنْ رِمَالٍ تَنْهَمِرُ عَلَيها، كلُّ حبَّةِ رَمْلٍ بِحَجْمِ حَبَّةِ الفُولِ.

عَجِيبٌ مَا تَراهُ في مَنَامِها، الرِّمَالُ تَتَحَوَّلُ إلى شَلَّالٍ مُنْهَمِرٍ! حَبَّةُ الرَّمْلِ تَكْبرُ لِتُصبحَ بِحَجْمِ حَبَّةِ فُولٍ!

وَعنْدَما تَستَيقِظُ مِنْ نَومِها مَذعورَةً؛ تُمسِكُ رَأسَها بِيَدَيْها الاثْنَتَينِ، وَهِي تَشعرُ بِأَلَمٍ في رَأسِهَا وَوَجْهِها،

كَأَنَّها كَانَتْ بِالفعلِ تَتَعرَّضُ لِوابِلٍ مِنَ الرِّمَالِ تَنْصبُّ فَوقَها كَشَلَّالٍ مِنَ الحَصَى.

لَم تَكنْ كَوابيسُ نُوْرَة مُتَشابهَةً فِي كَثيرٍ مِنَ الأَحيانِ، بَعضُها قَصيرٌ جِدّاً، عِبارَةٌ عَنْ مَشاهِدَ عَابِرَةٍ، وَبعضُها تَمتَدُّ لِدَقائِقَ مِثلَ فِيلمِ رُعبٍ قَصِيرٍ.

لَكنِّها؛ سَواءٌ أَكَانَتْ مَشْهَداً قَصِيراً أَمْ طَويلاً، فَهِيَ مُرعِبَةٌ أَشَدَّ الرُّعْبِ، وَإِثرَ كُلِّ كَابوسٍ تَستَيقِظُ مِنْ نَومِهَا مَذعَورَةً، تَقفِزُ مِنْ سَريرِها وَالخَوفُ الشَّديدُ يَسيطِرُ عَلَيهَا وَيَتَحَكَّمُ بِكيانِها.

تُحَاوِلُ نُوْرَة مُقَاوَمَةَ النَّومِ مَا أَمْكنَها ذَلِكَ، فَلَيسَ النَّومُ بِالنِّسبَةِ لَهَا إِلَّا مَنفَذاً للرُّعبِ وَلَيسَ للرَّاحَةِ، تَتركُ غُرفَتَها مُضاءَةً وَتشغِّلُ جِهَازَ التِّلْفزْيونِ، غَيرَ أَنَّ النَّومَ يُداهِمُها رَغماً عَنْهُا.

لَمَّا يَشتَدُّ عَلَيها النُّعاسُ تَفقُدُ قُوَّتَها وتَسْتَسلِمُ لَهُ

وَتغرَقُ فِي نَومٍ عَميقٍ لا يَلبَثُ حَتَّى يَتَحَوَّلَ إلى كَوابيسَ رُعبٍ مِنَ العِيارِ الثَّقيلِ، وَعالمٍ مِنَ الغَرائبِ والعَجائبِ.

أَلْقَتْ بِرَأسِها عَلى وِسَادَتِها الكَبيرةِ البَيضَاءِ، نَظَرَتْ نَحوَ سَقفِ الغُرفَةِ، لَحظاتٌ سَريعَةٌ مُريعَةٌ مَرَّتْ.

يَكادُ السَّقفُ يَسقطُ عَلَيها، ومِنْ شدَّةِ خَوفِها لَمْ تَدْرِ هلْ هِيَ فِي حِلمٍ أمْ في عِلمٍ.

تَجَمَّعَتْ عَلَى جَوانِبِ السَّقفِ وَزوايَاهُ الأَرْبعِ جُيُوشٌ مِنَ العَنَاكِبِ، وَتَكَاثَرَتْ بِسُرعَةٍ هَائِلَةٍ، وَتَجَمَّعَتْ فَوقَها تَماماً، وبَدَأَتْ تُكَوِّنُ سِلْسِلَةً مُمْتَدَّةً مِنَ العَناكِبِ النَّشِطَةِ، تَضرِبُ الهَواءَ بِأَذنَابِهَا حَتَّى بَدَأَتِ الأَصْواتُ الرَّهيبةُ تَتَرَدَّدُ فِي المَكانِ، وَعَينَاها مُسَمَّرَتانِ بِالمَشهَدِ المُريعِ، يَمْنعُها الرُّعبُ مِنَ الحَركَةِ وَحتَّى مِنَ الصُّراخِ.

تَجَمَّدَ لِسانُها عَنِ الحَرَكَةِ تَماماً، وَبَدَأَتْ سِلسِلَةُ العَناكِبِ تَقْتَرِبُ مَعَ خُيوطِها مِنْهَا، وَتَجَمَّعَتْ بِشَكْلٍ مُكَثَّفٍ حَولَ السِّلْسِلَةِ، وَشَكَّلَتْ مَا يُشْبِهُ العَمودَ الضَّخمَ

النَّازلَ مِنَ السَّقفِ، وَراحَتْ تَتَحَرَّكُ فِي كلِّ جَوانِبِ العَمودِ، وبَعدَ ثَوانٍ قَلِيلَةٍ بَاتَتْ قَرِيبَةً جدّاً مِنْ أَنْفِ نُورَة.

قَفَزَتْ تَصيحُ بِلا تَوَقُّفٍ، وَوَلَّتْ هَارِبَةً مِنْ غُرفتِها، فَاسْتَيقَظَ الجَميعُ عَلى صَرَخاتِها، وَتوَجَّهَتْ نُوْرَة مُباشَرَةً نَحوَ غُرفَةِ نَومِ أُمِّهَا وَأَبيها، وَمَا كَادَتْ تَصِلُ إلى هُناكَ؛ حَتَّى وَجَدَتْ أُمَّها عَلى البَابِ وَأَباها خَلْفَها، وَقَد هَبَّا مِنَ النَّومِ بَعدَ أَنْ سَمِعا صَوتَها، فَارتَمَتْ نُوْرَة فِي أَحضانِها تَجهَشُ بِالبُكاءِ، وَأَبوها وَأَخوها وَأُختُها الصَّغيرةُ يَشهَدونَ هذا المَوقفَ الَّذِيْ يَحدثُ لأَوَّلِ مرَّةٍ فِي بَيتِهِمْ.

كَانَت نُوْرَة تَصْرُخُ مُرتَعِبَةً، وَتُشيرُ بِأصْبعِ يَدِها نَحْوَ غُرْفتِها:

«عَناكِبُ.. عَناكبُ».

تَوَجَّهَ الجَميعُ إلى هُناكَ عَلى الفَورِ، وَظَنَّ الأَبُ أَنَّ

نُوْرَة خَافَتْ مِنْ عَنكَبوتٍ صَغيرٍ، أَوْ مِن حَشَرَةٍ صَغيرةٍ رَأَتْها تَمشي عَلى الحَائِطِ، وَظَنَّتْ أَنَّها عَنكبُوتٌ.

اقْتَرَبَ الأَبُ مِنَ الغُرفَةِ، وتَبِعَهُ ابْنُهُ سَعدٌ، لَكنَّ نُوْرَة ابتَعَدَتْ أَكثَرَ، وَذَهَبَتْ إلى الطَّرَفِ الآخَرِ مِنَ المَمَرِّ؛ خَائِفَةً ممَّا سَيَحدثُ عِندَ فَتحِ بَابِ الغُرفَةِ.

فَتَحَ أَبو سَعدٍ وابْنُهُ البَابَ فَلَمْ يَجِدا شَيئاً، فَأَدرَكَا أَنَّهُ كَانَ كابُوساً رَاودَ نُوْرَة.

وبِالرَّغمِ مِنْ أَنَّ الجَمِيع تَأَكَّدَ أَنْ لا شَيءَ غَريباً، وَغيرَ عَاديٍّ مَوجودٌ فِي الغُرفَةِ؛ فَإِنَّ نُوْرَة رَفَضَتْ بِإصْرارٍ النَّومَ فِي غُرفَتِهَا تِلْكَ اللَّيلةِ، وَحَاوَلَتْ أُمُّها أَنْ تُقنِعَها بِأَنَّ مَا رَأَتْهُ مُجَرَّدَ كَابوسٍ، لَكِنَّ الخَوفَ لَمْ يُفارِقْها طِوالَ اللَّيلِ، وَظلَّتْ عَينَاهَا تَجوبَانِ سَقْفَ غُرفَةِ والِدَيْها.

وَلَمْ تَنَمْ نُوْرَة فِي تِلْكَ اللَّيلةِ بَعدَ ذَلِكَ لَحظَةً وَاحِدَةً، كَانَتْ تَترَقَّبُ مِنْ خِلالِ جَوانِبِ سَتائِرِ النَّافذَةِ ضَوءَ الصَّباحِ وَهُوَ يَتَسرَّبُ بِهُدوءٍ وَحَياءٍ.

وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنَّ اليَومَ التَّالِي كَانَ يَومَ عُطلةٍ، وَلو كانَتْ هُناكَ مَدرَسَةٌ لكانَ يَوماً عَصيباً بِلا نَومٍ وَلا رَاحَةٍ بَعدَ حَالةِ رُعبٍ لمْ تَهدَأْ حَتَّى الصَّباحِ.

فُطُوْرٌ وَلُعبَةٌ فِي الحَديقَةِ

بَعْدَ أَنْ أَشْرَقتِ الشَّمسُ وَمَلأتِ المَكانَ ضِياءً وَحُبوراً؛ اجْتَمَعتِ الأُسرَةُ وَسَطَ الحَديقَةِ الخَلْفِيَّةِ الصَّغيرَةِ يَتَنَاوَلونَ طَعَامَ الفُطورِ كَعادَتِهِمْ فِي أَيَّامِ العُطَلِ عِنْدَمَا يَكونُ الطَّقسُ جَميلاً.

جَلَسَ الجَميعُ فِي أَمَاكِنِهِمْ، لَكِنَّ نُوْرَة تَأَخَّرَتْ بِالوُصولِ، رَغمَ أَنَّها كانَتْ في السَّابقِ تَأْتِي قَبلَهم جَميعاً.

وَبَعدَ انتِظارٍ طَويلٍ وَصَلَتْ نُوْرَة، وَعلى وَجهِها عَلاماتُ الإرْهَاقِ الشَّديدِ مِنَ السَّهَرِ طَوالَ اللَّيلِ. وَكانَ احْمِرارُ عَينَيها دَليلاً عَلى أَنَّها لَمْ تَنَمْ لِسَاعَاتٍ طَويلَةٍ.

استَقبَلوها جَميعاً بِترحَابٍ شَديدٍ، فَقَدْ كَانوا قَلِقِينَ عَلَيها مِمَّا أَصَابَها في اللَّيلِ.

لا شَكَّ أَنَّ الجَميعَ يَعرِفُ الإِزْعاجَ الَّذِيْ تُسَبِّبُهُ الكَوابِيسُ. وَالكابوسُ يَترُكُ بَعْدَ مُرورِهِ مَا يَمْلأُ القَلْبَ حُزناً، وَالنَّفْسَ ضِيقاً.

أَدْرَكَ الوَالِدانِ أَنَّ السُّكوتَ عَنْ هَذا الأَمْرِ لَمْ يَعدْ جَائزٌ، وَلا بُدَّ مِنَ القِيامِ بِأَمْرٍ مَا، قَرَّرا أَنْ تَذهَبَ ابنَتُهُما إلى الطَّبيبِ المُختَصِّ لِكَي يُحدِّدَ سَبَبَ مَا يَنتَابُ ابنَتُهُما مِنْ كَوابيسَ، رَغمَ أَنَّها كَانَتْ تُحاوِلُ كَتْمَ أَمْرِها، وكَأَنَّ رُؤْيَتَها للكَوابيسِ في نَومِها أَمرٌ مُعيبٌ، أَو سِرٌّ خَطيرٌ يَجِبُ أَنْ تُخْفيَهِ عَنْ كلِّ النَّاسِ بِلا اسْتِثناءٍ، وَحتَّى أَقرَبَ النَّاسِ إِلَيها.

لاحَظَتْ نُوْرَة اهتِماماً لَمْ تَعْهدْهُ مِن والِدَيها، مَعَ أَنَّ جَميعَ أَفرادِ الأُسْرَةِ يُحِبُّونَها وَيَهتَمُّونَ بِها.

قَالَتْ: «أَبي.. سَأَسْأَلُكَ سُؤالاً يُحَيِّرُني، وأُريدُك أَنْ تُجِيبَني عَنْهُ بِصَراحَةٍ».

قَالَ الأَبُ ضَاحِكاً: «تَفَضَّلي».

قَالَتْ: «أَبِي، تَكَلَّمْ بِصَراحَةٍ، مَنْ تُحِبُّ أَكثَرَ: نُوراً أَمْ سَعداً أَمْ أَنا؟».

ضَحِكَتِ الأُمُّ وَهِيَ تَسْمَعُ كَلامَ نُورَة، والأَبُ لا يَدْري مَا يَقُولُ.

فَقَالَتِ الأُمُّ: «ما هذا السُّؤالُ الغَريبُ يا نُورَة؟».

قَالَتْ نُوْرَة بِدَلالٍ: «أَنا الوُسْطَى، وهَذَا يَعني أَنَّ الْحُبَّ كُلَّهُ لي».

قَاطَعَتْهَا نورٌ: «يا لَكِ مِنْ مَغْرورَةٍ، أَنا الأَصغَرُ والأَجْمَلُ؛ وهذا يَعْني أَنَّ الْحُبَّ كُلَّهُ لِي أَنا وَحْدِي».

سَعدٌ الكَبيرُ لَمْ يَتَكَلَّمْ.

ضَحِكَ الأَبُ وضَحِكَتِ الأُمُّ، ثُمَّ قَالَ الأَبُ:

«أَنْتُمْ جَميعاً فِي الْحُبِّ سَواءٌ بِسَواءٍ».

حَزِنَتْ نُوْرَة، وغَضِبَتْ نورٌ، وبَقِيَ سَعدٌ صَامِتاً لا يَتَكَلَّمُ.

تَلَفَّتَ الأَبُ نَحوَ سعدٍ وقَالَ: «وَأَنْتَ يا سَعْدُ! ما رَأْيُكَ؟».

فَقَالَ سَعْدٌ مَبْتَسِماً: «أَنا البِكْرُ، كُنْتُ الْحُبَّ الأَوَّلَ، فَخَسِرْتُ جُزءاً مِنْهُ يَوْمَ وُلِدَتْ نُورَة، ثُمَّ خَسِرْتُ جُزءاً آخَرَ يَوْمَ وُلِدتْ نورٌ، فَلَم يَتَبَقَّ لي مِنَ الْحُبِّ إلا الْقَلِيلُ».

ضَمَّتِ الأُمُّ ابْنَهَا بِحَنَانٍ، وقَالَتْ: «لا يا سَعدُ، أَنْتَ غَالٍ عَلَيْنا مِثْلُ أُخْتَيْكَ».

لَم تَتَكَلَّمْ نُورَة، ثُمَّ نَظَرَتْ نَحْوَ نور بِحُزْنٍ.

فَقَالَ الأَبُ: «ما رَأْيُكُم لَو نَلْعَبُ لُعْبَةً جَديدَةً؟

لَكِن مَاذا سَنُسَمِّيهَا؟! مَاذا سَنُسَمِّيهَا؟! لِنُسَمِّهَا لُعْبَةَ الْحُبِّ.

نَعَمْ.. إِنَّها لُعْبَةُ الْحُبِّ».

قَالَتْ نُوْرَة بِتَعَجُّبٍ بالغٍ: «لُعْبَةُ الْحُبِّ؟! مَا سَمِعْنَا بِهَذِهِ اللُّعْبَةِ مِنْ قَبْلُ».

الأُمُّ: «مَا قَصْدُكَ يَا أَبا سعدٍ؟».

الأَبُ: «عِندَما نَنْتَهِي مِنَ الطَّعامِ لِنَجْلِسْ عَلَى أَرضِ الحَدِيقَةِ بَعدَ أَنْ يُحْضِرَ كُلُّ واحدٍ مِنَّا وَرَقَةً وَقَلَماً».

تَحَمَّسَ الجَميعُ لِهَذِهِ اللُّعْبَةِ، وَبَعدَ أَنْ أَكْمَلوا طَعامَهُمْ، وَحَمَدوا اللهَ عَلى نِعْمَتِهِ؛ بَادَروا إلى أَوْرَاقِهم وَأَقْلامِهِمْ، ثُمَّ جَلَسُوا عَلى العُشْبِ في حَلَقةٍ صَغِيرةٍ مُتَقارِبَةٍ.

قَالَ الأبُ: «سَأَسْأَلُكُم مَجْمُوعةَ أَسْئِلَةٍ، اكْتُبُوا الْجَوابَ الَّذِيْ تَعْتَقِدونَ أَنَّهُ الجَوابُ الصَّحيحُ:

السُّؤالُ الأَوَّلُ:

لَو مَرِضَ أَحَدُنَا؛ هَلْ يُصْبِحُ مَحَلَّ اهْتِمَامِنَا وَحُبِّنا أَكْثَرَ مِنَ الآخَرِينَ، أَمْ تَظَلُّ الأُمُورُ عَادِيَّةً؟

السُّؤالُ الثَّانِي:

لَو سَافَرَ أَحَدُنَا؛ هَلْ يُصْبِحُ مِحْوَرَ تَفْكِيرِنَا وَحُبِّنَا، أَمْ تَظَلُّ الأُمورُ عَادِيَّةً؟

السُّؤَالُ الثَّالِثُ:

لَو تَأَخَّرَ أَحَدُنَا خَارِجَ الْبَيْتِ؛ هَلْ نَقْلَقُ عَلَيْهِ وَنَبْحَثُ عَنْهُ، أَمْ نُهْمِلُ ذَلِكَ وتَبْقَى الأُمورُ عَادِيَّةً؟

السُّؤَالُ الرَّابِعُ:

لَوْ تَعَرَّضَ أَحَدُنَا لِحَادِثٍ، أَلَن نُصابَ جَميعُنا بالْحُزْنِ وَنُفَكِّرَ بِهِ؟ أَمْ أَنَّ الأُمُورَ تَظَلُّ عَادِيَّةً؟».

وَرَاحَ الأَبُ يَذْكُرُ الأَسْئِلَةَ حَتَّى بَلَغَتْ عَشْرَةَ أَسْئِلَة.

ثُمَّ قَالَ: «ضَعوا الأَوْرَاقَ الآنَ عَلَى الْعُشْبِ لِنَقْرَأَ ما كَتَبْتُمْ».

ثُمَّ قَالَ الأَبُ بَعدَما دَقَّقَ بِالأَوراقِ مُعْلِناً النَّتِيجَةَ: «جَمِيعُ الإِجاباتِ مُتَشَابِهَةٌ».

فَقَالَتِ الأُمُّ بِفَرَحٍ: «الحُبُّ يَجْمَعُنَا. فعِنْدَمَا يَحْتَاجُ أَحَدُنَا إِلَى رِعَايَةٍ خَاصَّةٍ يُصْبِحُ مَحَلَّ الرِّعَايَةِ والاهْتِمَامِ وَالحُبِّ».

قَالَتْ نورٌ: «لُعْبَةٌ رَائِعَةٌ. أَشْعُرُ الآنَ بِمَعْنَى كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الحُبِّ الَّذِيْ جَاءَ في أَسْئِلَتِكَ يَا أَبِي».

سعدٌ: «الْحُبُّ شَيْءٌ عَظِيْمٌ يا أُمِّي».

نُورَة: «أُرِيْدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئاً يا أَبي، لَكِنْ عِدْنِي أَلَّا تَحْزَنَ مِنِّي».

الأَبُ: «أَعِدُكِ».

نُورَة: «في الحَقيقَةِ، أَنا أُحِبُّ أُمِّي أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ في الوُجُودِ، ولِهَذَا السَّببِ لَجَأْتُ إِلَيْهَا اللَّيلَةَ الماضِيَةَ عِندَما انْتابَتْني الكَوابيسُ، ورَأَيتُ العَناكِبَ تَسقُطُ مِنْ سَقفِ الغُرفَةِ».

الأَبُ: «هَذا شَيءٌ يُفْرِحُنِي».

نُورَة: «أَلَا تَشْعُرُ بِالْغِيْرَةِ؟».

الأَبُ: «أَبَداً.. أَلَمْ تَكْشِفْ لَنا اللُّعْبَةُ أَنَّ لِكُلٍّ مِنَّا حُبّاً خَاصّاً لِلآخَرِ؟! وهوَ في النِّهَايَةِ حُبٌّ يُجَمِّعُ ولا يُفَرِّقُ؟!».

اقْتَرَبَتْ نُورٌ، وقَبَّلَتْ رَأْسَ أَبِيْها وَرَأْسَ أُمِّها وقَالَتْ:

«سَأُخْبِرُ صَدِيقَاتِي غداً عَنْ هَذِهِ اللُّعْبَةِ، وسَأَعْرِضُ عَلَى مُدَرِّسَتِي أَنْ نَلْعَبَهَا فِي الْفَصْلِ».

ضَحِكَتِ الأُمُّ وَقَالَتْ: «انْظُرْ يا أَبا سعدٍ، بنْتُكَ أَحَبَّتْ هَذِهِ اللُّعْبَةَ الَّتِي اخْتَرَعْتَها. سَأَغِيْرُ مِنْكَ بَعْدَ الْيَوْمِ».

قَالَ الأَبُ: «لَكِنَّكِ حَصَدْتِ الحُبَّ كُلَّهُ يا أُمَّ أَوْلادِي، والأَوْلَى أَنْ أَغَارَ أَنا مِنْكِ».

ضَحِكَ الْجَمِيعُ. كَانوا سُعَدَاءَ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ مَعْنَى الْحُبِّ.

أَمَّا نُوْرَة فما زَالَتْ مُشْكِلَتُها مُعلَّقَةً.

نُزْهَةٌ مَعَ الطَّبيبِ

بَعدَمَا تَنَاولَتِ الأُسْرَةُ فُطورَها قَالَ الأَبُ:

«هيَّا يَا نُورَة، اسْتَعِدِّي لِلذَّهَابِ مَعِي إِلَى الطَّبيبِ، فَقَدْ كَلَّمْتُ أَحَدَ أَصْدِقائي الأَطِبَّاءِ، وَهُوَ طَبيبٌ نَفْسَانيٌّ، وَتَوَاعَدْنا أَنْ نَلتَقيَ فِي مُنتَزَهٍ قَريبٍ، حَيثُ يُمارِسُ رِياضَةَ المَشي، فَاليومُ عُطْلَةٌ وَالعِيَادَةُ مُغْلَقَةٌ».

صَاحَتْ نُوْرَة بِتلَقائِيَّةٍ عَلى الفَورِ، وَقد بَدَتْ عَلَيها مَلامِحُ الدَّهْشَةِ بَارِزَةً عَلى قَسَمَاتِ وَجْهِها: «طَبيبٌ نَفْسَانِيٌّ! وَهَلْ أَنَا مَجْنونَةٌ؟!».

أَجَابَها الأَبُ بِنَبرَةٍ هَادئَةٍ:

«لا يَا بُنَيَّتي، وَمَنْ قَالَ أَنَّك مَجنُونَةٌ، فَلَيسَ كلُّ مَنْ يَذهَبُ إلى الطَّبيبِ النَّفسانيِّ يَكونُ مَجنوناً؛ سَنُخْبِرُهُ عَنْ

مُشكِلَةِ الكَوابِيسِ لِنَجِدَ مَعاً حَلّاً لَهَا، فَلا تَقلَقي يَا حَبيبَتي».

خَافَتْ نُوْرَة كَثيراً أَنْ تَعرِفَ وَاحدَةٌ منْ صَديقاتِها بِهَذَا المَوضُوعِ، وَتشَيعَ فِي مَدرَستِها أَنَّها مَجنُونَةٌ.

طَمْأنَها أَبُوها بِأَنَّ الطَّبيبَ كَبيرُ السِّنِّ، وَلَيسَ عِندَهُ بَينَ أَبْنَائِهِ بَناتٌ، وكلُّ أَولادِهِ تَخَرَّجُوا مِنَ الجَامِعَةِ.

وَافقَتْ نُوْرَة مُضْطَرَّةً على مَضَضٍ، بِالرَّغمِ مِنْ عَدَمِ اقْتِناعِها تَماماً؛ لشدَّةِ مَا أتْعَبَتْها الكَوابيسُ، فَلَرُبَّما تَجِدُ لَدَى الطَّبيبِ حَلّاً.

وَمضَتْ نُوْرَة تَمْشِي مَعَ أَبِيها نَحْو المُنتزَهِ القَريبِ، وَكانَ الطَّقْسُ جَمِيلاً وَالهَواءُ عَليلاً، وَكانَتِ العَصَافيرُ تُزَقْزِقُ عَلى مَدَى الطَّريقِ المُمْتدِّ رَوعَةً وَالمَليءِ بالأَشْجارِ العَالِيَةِ على ضِفَّتَيهِ.

وَرَاحَتْ نُوْرَة تُراقِبُ العَصافيرَ بِشَغَفٍ، لَعَلَّ رِيشَةً

تَسقُطُ مِنْ جِسمِ وَاحِدٍ مِنْهَا، فَيَحْمِلُها الهَواءُ إِلَيْهَا كَمَا يَحدُثُ دَائِماً.

ضَحِكَ الأَبُ وَهُوَ يُشاهِدُ ابْنَتَهُ عَلى هَذِهِ الحَالِ، وَقَالَ:

«تُفَكِّرينَ دَائِماً بِرِيشِ الطُّيورِ، حَتَّى وَأَنتِ مَشْغولَةُ البَالِ!».

لَمْ تَجِدْ نُوْرَة مَا تُعَلِّقُ بِهِ عَلى كَلامِ أَبيها، وَظلَّتْ صَامِتَةً سَارِحَةً تَتَأَمَّلُ الطُّيورَ الَّتِي تَمرَحُ وَتَتنَقَّلُ مِنْ غُصْنٍ إِلَى غُصْنٍ، وَمِنْ شَجَرةٍ إِلى شَجَرةٍ؛ حَتَّى وَصَلا إِلَى المُنتزَهِ الجَميلِ، وَكانَ حَافِلاً بِعدَدٍ كَبيرٍ مِنَ النَّاسِ، كِبَاراً وَصِغاراً. فَاليومَ عُطلَةٌ، وَالنَّاسُ تَستَغِلُّ مِثلَ هَذا اليَومِ للتَّنَزُّهِ وَالتَّرفِيهِ عَنِ النَّفسِ، بَعيداً عَنْ تَعَبِ الأُسْبوعِ وَالوَاجِبَاتِ اليَومِيَّةِ مِنْ عَمَلٍ وَدِرَاسَةٍ.

كَانَ الطَّبيبُ يُمَارِسُ رِيَاضَةَ المَشي حَولَ بِركَةِ المَاءِ الكَبيرةِ وَسَطَ المُتنزَّهِ، حَيثُ تَواعَدَ مَعَ وَالدِ نُورَة.

وَعندَما الْتَقيا كَانَا فَرِحَينِ جِدّاً بَعدَ فَترَةٍ طَويلَةٍ لَمْ يَلتَقِيا فِيها، وَالتفَتَ الطَّبيبُ نَحْوَ نُوْرَة قائلاً:

«مَا شَاء اللهُ يَا أَبا نُورَة! لَقَدْ أَصْبَحَتْ ابنَتُكَ صَبيَّةً شَابَّةً. مَا شَاءَ اللهُ! مَا هَذا الجَمَالُ!».

احْمَرَّ وَجهُ نُوْرَة خَجَلاً، وَأَحْنَتْ رَأْسَها، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ.

سَأَلَ الطَّبيبُ عَنْ مُشْكِلَةِ نُورَة، فَأَخبَرَهُ أَبُوها عَنِ الكَوابيسِ الَّتي تَنتَابُها، وَبِشَكلٍ يَوميٍّ مُسْتَمِرٍّ.

سَألَ الطَّبيبُ نُوْرَة عَنْ تَفاصيلِ مَا تَرَى، وَمُنْذُ مَتى.

كَانَتْ أَسَئلَتُهُ مُتَعَدِّدَةً وَكَثيرَةً، وَفي النِّهايَةِ، وَبَعدَ نَحوِ نِصفِ سَاعَةٍ مِنَ الأَسْئِلَةِ والأَجْوِبَةِ، وَهُمْ يَمشونَ وَيدورونَ فِي مَمَرَّاتِ المُتنَزَهِ، ابْتَسَمَ الطَّبيبُ وقَالَ:

«مَا شاءَ اللهُ عَليكِ يَا نُورة! أَنْتِ ذَكيَّةٌ جِدّاً، وَحَدِيثُكِ حُلوٌ وَلَطِيفٌ. هَاتِي حَدِّثِيني عَنْ هِوَايَاتِكِ. قَالَ

لِي أَبُوكِ أَنَّكِ تُحِبِّينَ جَمعَ رِيشِ الطُّيورِ. هِوايَةٌ غَريبَةٌ! لَكنَّها جَميلَةٌ وَتُعْجِبُني».

أَخْرَجَتْ نُوْرَة مِنْ حَقِيبةِ يَدِها الصَّغيرةِ هَاتِفَها النَّقَّالَ، وَقَالَتْ لِلطَّبيبِ بَعدَ أَنْ شَعَرَتْ بِراحَةٍ خِلالَ الحَدِيثِ مَعَهُ، وَاطْمَأَنَّتْ إلَيهِ:

«هَذهِ بَعضُ الصُّوَرِ لِغُرفَتي، حَيثُ أَحتَفظُ بِعَدَدٍ كَبيرٍ مِنْ رِيشِ الطُّيورِ، وَأَنَا أَعْرِفُ كلَّ رِيشَةٍ مِنْهَا، وَأُميِّزُ بَينَها، وأَعْرِفُ نَوعَ الطَّائرِ الَّذِيْ تَعودُ إلَيه. انْظُرْ: هَذِهِ رِيشَةُ عُصفورِ الدُّورِيِّ، وَهذِهِ رِيشَةُ بُلبُلٍ، وَهذهِ رِيشَةُ نَعَامَةٍ، وَبَطَّةٍ، وَ.. وَ.. أَمَّا هَذِهِ فَهِيَ رِيشَةُ طَيرٍ جَميلٍ أَحْضَرهُ جَارَنا الطَّبيبُ يَوماً..».

وَقصَّتْ نُوْرَة عَلى صَديقِ وَالدِها الطَّبيبِ النَّفسِيِّ حَكايَةَ الطَّائرِ المِسْكِينِ.

كَانَتْ نُوْرَة تَتَكَلَّمُ عَنْ رِيشاتِها بِسَعادَةٍ، لَكنَّها

عِندَما تَحَدَّثَتْ عَنْ رِيشَةِ طَائرِ جَارِها الطَّبيبِ شَعَرَتْ بالحزْنِ، وتَغَيَّرَتْ نَبرَةُ صَوتِها.

ثُمَّ تَابَعَتْ حَديثَها، وَهِيَ تُقَلِّبُ صُورَ الرِّيشِ فِي هَاتِفِها النَّقَّالِ.

وَبعدَ ذَلِكَ اسْتَأْذَنَ الطَّبيبُ لِلذَّهابِ، وَقَالَ لِوالِدِ نُوْرَة هَامِساً:

«لا تَقلَقْ يا صَديقي، لَا يُوجَدُ مُبرِّرٌ للقَلَقِ، سَأتَّصِلُ بِكَ عِندَ المَسَاءِ».

ثُمَّ غَادَرَ الطَّبيبُ المنتَزَهَ، وَهُوَ يُلوحُ بِيَدِهِ لنُورَة، وَمَشَتْ نُوْرَة مَعَ أَبيها دَونَ أَنْ تَتَوَقَّفَ عَنْ مُراقَبةِ الطُّيورِ، وهي تَنتَقلُ مِنْ شَجَرةٍ إلى أُخْرَى.

وَهُنا لَاحَظَ أَبُوها أَمْراً، فَقَالَ: «مَا شَاءَ اللهُ! أَرَى مَعَكِ رِيشَةً جَديدَةً، يَبدو أَنَّكِ لَا تُضيِّعِينَ وَقتَكِ».

ضَحِكَتْ نُوْرَة وقَالَتْ: «مِثْلُ العَادَةِ يَا أَبي، مِثلُ

العَادَةِ، الْتَقَطْتُها وَهِيَ تُحَلِّقُ فِي الهَواءِ، طَارَتْ نَحْوي فَلَم أَشَأْ أَنْ أُضَيِّعَ هَذِهِ الفُرصَةَ».

قَالَ الأَبُ لابنَتِهِ مُبتَسِماً: «يُبدو أَنَّنا عمَّا قَريبٍ يَجِبُ أَنْ نَبحَثَ عَنْ بِيتٍ جَديدٍ أَكبرَ وَأَوسَعَ لِكَي يَسَعَ كلَّ هَذِهِ الرِّيشَاتِ الَّتِي تَزدادُ يَوماً بَعدَ يَومٍ».

قَالَتْ نُوْرَة ضَاحِكةً: «أَتَسْخَرُ مِنِّي يَا أَبي؟».

قَالَ الأَبُ: «لا.. لا.. لَكنِّي بِتُّ أَشْعُرُ أَنِّي أَعيشُ فِي بَيتِ الطُّيورِ».

وَرَاحا يَضحَكانِ حَتَّى وَصَلا المِنزِلَ، فَرَأَتْهما أُمُّ نُوْرَة مِنَ الشُّبَّاكِ يَضحَكانِ، فَقَالَتْ وَهِيَ تَستَقبلُهما عِنْدَ البَابِ:

«مَا هَذِهِ الضَّحِكَاتُ الجَميلاتُ، منذُ فَترَةٍ لم نَرَ مثلَ هَذِهِ الضِّحكَةِ عَلى شَفَتَيكِ يَا نورَة! يَبدُو أَنَّها كَانَتْ نُزهَةً سَعيدَةً».

دَخَلَ الأَبُ إِلَى غُرفَتِه، وَأَمسَكَ هَاتِفَهُ عَلى الفَورِ،

لَمْ يكنْ لِيَصبِرَ حَتَّى المَسَاءِ لِكَي يَتَكَلَّمَ مَعَ صَديقِهِ الطَّبيبِ، وَاتَّصَلَ بِهِ.

وَقَبلَ أَنْ يُلقِيَ السَّلامَ عَلَيهِ، بَادَرَهُ الطَّبيبُ بِالقَولِ:

«كُنتُ مُتأَكِّداً أَنَّكَ سَتتَّصِلُ بِي بِسُرعَةٍ، أَعْرِفُ أَنَّكَ لَنْ تَصبِرَ حَتَّى المَسَاءِ».

وَسَمِعَ أَبُو نُوْرَة ضِحكَةَ الطَّبيبِ العَاليَةَ، فَقَالَ له:

«وَكيفَ أَصبرُ علَى هَذا؟! أنَا كُنتُ أُريدُ أَنْ أَسْمَعَ النَّتيجَةَ وَنَحنُ فِي المُنتَزَهِ، لكنَّ وُجودَ نُوْرَة مَعَنا لَمْ يَسمَحْ لِي».

قَالَ الطَّبيبُ: «هَدِّئْ مِنْ رَوعِكَ يَا صَديقي، ابنتُكَ بِخَيرٍ، لَكنَّكَ كَمَا يَبدو مُقَصِّرٌ مَعَها، هِيَ تَحتاجُ أَنْ تكونَ مَعَها لِوقتٍ أَكْبَرَ، أَنتَ وَأُمُّها أَيضاً. أَعْرِفُ أَنَّكُما قَدْ تَكونانِ مَشغولَينِ بِكَثرَةِ الأَعْبَاءِ فِي العَمَلِ وَالبَيتِ، لَكنْ عَلَيكُما أَنْ تُخَصِّصا لَهَا وَقْتاً أَكْبرَ، وأَنْ تُبدِيَا أَمَامَها اهتِمَاماً أَكثرَ بِهوايتِها».

تَذَكَّرَ أَبُو نُوْرَة قِصَّةَ لُعبةِ الحُبِّ، وَسُؤالَ نُوْرَة عَمَّنْ يُحِبُّ أَكثَرَ، فَقَصَّ على الطَّبيبِ مَا حَدَثَ، عِندَها قَالَ لَه:

«أَرَأَيتَ يَا عَزيزي؟ هِيَ تَحتاجُكَ اليَومَ أَكثرَ مِنِ ابنِكَ الكَبيرِ سَعدٍ، وَابنتِكَ الصَّغيرةِ نُور. أَعْطِها المَزيدَ مِنْ وَقتِكَ. لَكنِّي لَا أَعْرِفُ مُشكِلَةَ الرِّيشِ. وَلا أَدْرِي مَا عَلاقَةُ الرِّيشِ بِالكَوابيسِ!».

سَأَلَ أَبو نُوْرَة الطَّبيبَ عَمَّا إِذا كَانَ يَعتَقدُ بِتَأثيرِ الرِّيشِ على ما تَراهُ نُوْرَة في مَنامها.

فَقَالَ الطَّبيبُ: «لا أدْرِي. أَحْسَسْتُ أَنَّها تُحِبُّ الرِّيشَ كَثيراً ـ رُبَّما ـ لأَنِّي أُعجبْتُ بِهِوايَتِها، وَلا أَدْرِي لِمَاذا أَنتَ لَستَ مُعجَباً بِها».

«وماذا تَرَى يَا دُكتور؟».

قَالَ ذَلِكَ أَبو نُوْرَة مُتَلَهِّفاً، فَابتَسَمَ الطَّبيبُ وقَالَ بِنَبرَةٍ مُطْمَئِنَّةٍ:

«يَا أَبَا نُورَة، لَا تَقلَقْ، الحَالَةُ بَسِيطَةٌ».

ثُمَّ قَالَ ضَاحِكاً: «اسْتَفِدْ مِنَ الرِّيشِ؛ لِكَي تَعيشَ».

ضَحِكَ أَبو نُوْرَة والطَّبيبُ طَويلاً، ثُمَّ قَالَ الطَّبيب: «عِشْ مَعَ ابنَتِكَ فِي حُبِّها للرِّيشِ.. وَإِنْ شَاءَ اللهُ سَتَزولُ كلُّ الكَوابِيسِ سَريعاً، وَسَريعاً جِدّاً».

المَشْهَدُ الأَخِيرُ

مَعْرضُ الرِّيشِ

فَكَّرَ أَبو نُوْرَة طَويلاً بِكَلامِ الطَّبيبِ، وَرَأَى أَنَّه مُقَصِّرٌ فِعلاً بِالاهتِمامِ بِابنَتِهِ، كَمَا أَنَّه كَانَ يَستَهْزِئُ بِشَكلٍ غَيرِ مُباشرٍ، وحتَّى مُباشرٍ في بَعضِ الأَوقاتِ، بِهِوايَةِ ابنَتِهِ الغَريبَةِ، فَضْلاً عَمَّا كَانَ يَعرِفُهُ مِنِ اسْتِهزاءِ وَسُخرِيَةِ بَعضِ صَديقاتِ نُوْرَة بِسَببِ هِوايَتِها.

أَبُو نُوْرَة يَعرِفُ شَخصاً يَملِكُ صَالةً فَنِّيَّةً جَميلَةً ووَاسِعَةً، يَعرِضُ فِيها اللوحاتِ التَّشكِيلِيَّةَ المُتَنوِّعَةَ لِلفنَّانِينَ الزُّوَّارِ وَالمُقِيمينَ في المِنطَقَةِ، فَاقتَرَحَ عَلَيْهِ فِكرَةَ إقامَةِ مَعْرضٍ لِلرِّيشِ.

وَأَخبَرَهُ بِهِوايَةِ ابنَتِهِ، وَأَنَّها تَملِكُ مَجْموعةً كَبيرةً

مِنَ الرِّيشِ المُتَنَوِّعِ مِنْ عَصَافيرَ وَطيورٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَنْحاءِ العَالَمِ، فَضْلاً عَنْ بَعضِ مُقتَنَياتِها الجَميلَةِ المَصنُوعَةِ مِنَ الرِّيشِ مثل سَاعةِ الرِّيشِ، وَعقْدِ الرِّيشِ، وَكَذلِكَ صُندُوقِ الرِّيشِ.

أُعْجِبَ صَاحِبُ الصَّالَةِ بِالفِكْرةِ، ورَأَى أَنَّها فِكرَةٌ جَديدَةٌ مُبتَكَرةٌ وغيرُ تَقليديَّةٍ، وَلم يَسبقْ لأَحَدٍ يَعرِفُه أَنْ أَقَامَ مَعرضاً مُخَصَّصاً لِلرِّيشِ.

قَالَ لهُ على الفَورِ أَنَّهُ مُوافِقٌ، وأَنَّ الموضوعَ لَا يَحتاجُ إلى تَفكيرٍ طَويلٍ.

وعلى الهاتِفِ أَخبَرَ أَبو نُوْرَة ابنتَهُ بِالفكْرَةِ، فَكَادَتْ تَطيرُ مِنَ الفَرَحِ.

أَخِيراً اقْتَنَعَ أَبُوها بِهِوايَتِها.

سُرَّتْ نُوْرَة كثيراً لِمَا أَبداهُ صَاحِبُ الصَّالةِ منِ اهْتِمامٍ، فقدْ كانتْ مُتأكِّدةً مِنْ أَنَّ هِوايتَها هَذِهِ سَتَجدُ

يَوماً ما مَنْ يُقدِّرُها، بَعدَ أَنْ أَصَابَها الحُزنُ وَالأَسَى بِسَبَبِ مَا وَاجَهَتْهُ مِنْ قِلَّةِ اهْتِمامٍ، وَسُخْرِيَةٍ مِمَّنْ حَولَها.

وَبَدَأَتْ نُوْرَة تَسْتَعِدُّ لِلمَعْرضِ. أَخبَرَتْ صَديقاتِها فِي المَدرَسَةِ بفَخْرٍ، وَلم تَعدْ تَهتَمُّ باسْتِهْزائِهِنَّ بِها.

لمَّا سَمعتِ الصَّديقاتُ بِهذا الخَبرِ، شَعَرنَ بِالغَيرةِ مِنْهَا، وَأَدْرَكَنَ أَنَّهنَّ كُنَّ عَلى خَطَأ، وَعَرضْنَ عَلَيهَا مَساعَدَتَها فِي تَوضِيبِ الرِّيشِ وَتَجْهيزِه تَمْهيداً لِلمَعرضِ المُرْتقَبِ.

وَبدَأ صَاحِبُ المَعرضِ بِتَحْضيرِ وتَجهيزِ القاعَةِ، وَوَضَعَ إِعلاناً كَبيراً على مَدخَلِ القَاعَةِ، كَتبَ عَلَيْهِ بِخَطٍّ جَميلٍ:

«قَرِيباً.. مَعرَضُ نُوْرَة لِلرِّيشِ السَّعيدِ».

وَتَغيَّرَ حالُ نُوْرَة مِنْ كوابيسَ غَريبةٍ وَعجيبَةٍ إلى أَفراحٍ وأَحْلامٍ سَعيدةٍ.

تَحوَّلَ حُزنُ نُوْرَة وَتَشاؤُمُها إلى تَفاؤُلٍ وَفَرَحٍ،

وَبَدَأَتْ صَديقاتُ نُوْرَة تَكتبْنَ عَنِ المَعْرضِ القَادِمِ فِي وَسَائِلِ التَّواصُلِ الاجْتماعِيِّ، فانْتَشَرَ الخَبَرُ بِشْكلٍ كَبيرٍ وَسَريعٍ.

لَكنْ حَدَثَ أَمرٌ لم يكنْ بِالحُسْبانِ؛ وَصَلَ الخَبَرُ إِلَى جَمْعيّاتِ الرِّفْقِ بالحَيوانِ، وَبَدَأَتْ تِلْكَ الجَمعيَّاتُ تَعتَرِضُ عَلى هَذا المَعرضِ الغَريبِ، وَاعتَبَرتْ أَنَّ في ذَلِكَ إِهانَةً وَاستِهزاءً بِالطُّيورِ؛ هَذِهِ المَخلوقاتِ الصَّغيرةِ الضَّعِيفَةِ.

وَعَادَتْ نُوْرَة تُفَكِّرُ بِهَذا الأَمْرِ من جَديدٍ؛ فَقَدْ فَكَّرَتْ بِهَذا الأَمْرِ سَابِقاً. أَدْرَكَتْ أَنَّ تَفكيرَها كَانَ صَائِباً.

وَبَدَأَتِ الصُّحُفُ الَّتِي تَهتَمُّ بِالبِيئَةِ وَبِالحَيوانِ تَكتُبُ عَنْ هَذا المَوضوعِ، وَاتَّهَمُوا نُوْرَة وَصَاحِبَ القَّاعَةِ بِأَنَّهُمَا يُؤذِيَانِ الطُّيورَ مِنْ أَجْلِ الحُصولِ عَلى الشُّهرَةِ وَالمَالِ.

وَعَادَتْ حالَةُ الحُزْنِ وَالأَسَى تُسَيطِرُ عَلى قَلْبِ

نُوْرَة مِنْ جَديدٍ، لكنَّ حُزنَها هَذِهِ المرَّة كَانَ أَكبَرَ مِنْ أَيِّ حُزنٍ سَابِقٍ.

وَبَدَأَتْ تُفَكِّرُ بِطَريقَةٍ تُخلِّصُها مِنْ هَذِهِ الأَفْكارِ المَغْلوطَةِ، فَهِيَ لَمْ وَلَنْ تُفكِّرَ يوماً بَأَنْ تَنزِعَ رِيشَةً وَاحِدَةً مِنْ جَسَدِ طَيرٍ حَيٍّ، وَحتَّى طَيرٍ مَيِّتٍ. فَهِيَ تُحِبُّ الحَيَاةَ وَتُحِبُّ الطُّيورَ، وَمَنْ يَعْشَقُ هَذَا النَّوعَ مِنَ الحَيواناتِ الجَميلَةِ مِنَ المُسْتَحيلِ أَنْ يُؤذِيَ حَتَّى ذُبابَةً، فَكَيفَ يَتَّهِمونَها بِمِثْلِ هَذِهِ الاتِّهامَاتِ!

وَقَفَ أَبُو نُوْرَة وَالأُسرةُ كُلُّها إلى جَانِبِ نُورَة، وَصَارَتْ نُوْرَة مَشْهورَةً بَينَ النَّاسِ بِلَقَبِ «فَتَاةُ الرِّيشِ»، وصَارَتْ تَكتُبُ عَنْهُا الصُّحُفُ وَالمَجَلَّاتُ.

وَفتَحَ صَديقاتُ نُوْرَة صَفَحاتٍ خَاصَّةً بِها عَلى وَسائِلِ التَّواصُلِ الاجْتِمَاعِيِّ، وَثارَتْ ضَجَّةٌ كَبيرَةٌ عَلى الإنترنت.

بَدَأَ الجَميعُ يَكتُبُ عَنْ نُوْرَة وَهِوايَتِها الغَريبَةِ، وَلَمْ تَعُدْ هِوايَةُ نُوْرَة مُجَرَّدَ هِوايَةٍ خاصَّةٍ بِها، لَقَدْ وَجَدَتْ

كَثيراً مِنَ الأَشْخَاصِ حَولَ العَالَمِ يُؤيِّدونَها فِي هِوايَتِها، وَبَدَأَتْ تَصِلُها عَبْرَ البَريدِ الإلِكْتْرونيِّ رَسائِلَ الدَّعْمِ والتَّأْييدِ مِنْ كُلِّ العالمِ.

كَمَا صَارَتْ تَصِلُها بِالبَريدِ العَادِيِّ رَسائِلُ تُناصِرُها، وَتَجِدُ فِي دَاخِلِ المَظاريفِ بَعْضاً مِنَ الرِّيشِ الجَميلِ، وَمَعَ ازْدِيَادِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ ازْدادَ عَدَدُ الرِّيشِ بِشَكْلٍ كَبيرٍ، وَتضاعَفَ.

وَبَدأَتْ وَسَائلُ الإعْلامِ تَكتُبُ أَكثَرَ وأَكثَرَ عَنْ نُوْرَة وَهِوايَتِها، وَجَاءَتْ بَعضُ الصُّحُفِ لِتَصوِّرَ مَا يَصِلُها مِنْ رِيشِ الطُّيورِ مِنْ أَنْحاءَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنَ العَالَمِ؛ حَتَّى أَصْبَحَ لَدَيها كَنْزٌ كَبيرٌ مِنَ الرِّيشِ لَمْ يَعُدْ تَسْتَوعِبُهُ غُرفتُها وَلا حَتَّى مِنزِلِها.

وَضَعتْ بَعضَ الرِّيشِ فِي حَديقةِ المَنزلِ رَيثَما تَجدُ حلّاً مُناسِباً، فَعَرَضَ عَلَيها شَخْصٌ يَمْلِكُ مَخْزَناً كَبيراً فِي مَنطقَتِها أَنْ يُهيِّئَ لَها المَخْزَن لِيكُونَ مَكاناً تَحْفَظُ

فِيه هَذا الكَمَّ الضَّخْمَ مِنَ الرِّيشِ الكَثيرِ وَالمُتَنوِّعِ، وَبَدَأَتْ دَائِرَةُ الاهْتِمامِ تَزدادُ بِهِوايَةِ نُورَة.

وَعنَدَما تَأَكَّدَتْ جَمْعِيّاتُ الرِّفْقِ بِالحَيوانِ أَنَّ نُوْرَة لَا تَنْزِعُ الرِّيشَ مِنَ الطُّيورِ الحَيَّةِ، وَبعدَ أَنْ تَأَكَّدَتْ أَنَّ الريشَ الَّذِيْ وَصَلَ إِلَيْهَا كَانَ مِنَ الرِّيشِ الطَّائِرِ بِالهَواءِ؛ وَأَنَّ كلَّ المُتَضامِنِينَ مَعَ نُوْرَة مِنْ مُحِبِّي الطُّيُورِ؛ قَرَّرَتْ تِلْكَ الجَمْعيَّاتُ أَنْ تَمْنَحَ نُوْرَة وِسَامَ الطُّيُورِ الكَبيرَ، وَلَقَبَ «سَفِيرةُ الطُّيُورِ إلى العَالَم».

وَمنذُ ذَلِكَ اليَومِ لَمْ تَعُدْ نُوْرَة تَرَى الكَوابيسَ فِي مَنامِها، وأَصْبَحَ الجَميعُ يُقدِّرونَ هَوايَتَها.

وَصَارَ الرِّيشُ شِعاراً للحُبِّ وَلِلسَّلامِ.

النِّهَايَةُ

مايو ٢٠١٤

فهرس الموضوعات

١ ـ نُورَة تُحِبُّ الحَيَاةَ ٥
٢ ـ تَحْلُمُ أَنْ تَطِيرَ ١٨
٣ ـ مَجْموعاتٌ مِنَ الرِّيْشِ ٢٨
٤ ـ عقدٌ وَسَاعَةٌ مِنَ الرِّيشِ ٤٢
٥ ـ نُوْرَة لَا تَنَامُ ٥٧
٦ ـ رِيشٌ يَتَحَرَّكُ وَيَتَكَلَّمُ ٦٢
٧ ـ كَوَابِيْسُ.. كَوَابِيْسُ ٧٠
٨ ـ فُطُوْرٌ وَلُعبَةٌ فِي الحَديقَةِ ٧٨
٩ ـ نُزْهَةٌ مَعَ الطَّبيبِ ٨٦
١٠ ـ مَعْرضُ الرِّيشِ ٩٦
فهرس الموضوعات ١٠٣